شمس التربية الإسلامية تشرق من الجزيرة العربية *

أولاً - أبعاد التغيير الإسلامى

لقد قام الاسكندر بفتوحاته الخاطفة قبل الميلاد، فهل كانت تلك الفتوحات نار هشيم سرعان ما اشتعلت وسرعان ما انطفأت ؟ وهل اقتبست البلاد المفتوحة عقائد الفاتحين ونظمهم وآدابهم ؟ ألم يكن الأمر على العكس، آن اعتنق الفاتحون أنفسهم ديانة البلاد التى فتحوها؟

ولقد جرب الاستعمار الأوربى الحديث حيله الواسعة وأساليبه الجبارة فى بلاد الشرق لكى يغزو عقول أهلها وقلوبهم، كما غزا أرضهم وديارهم فهل ظفر منهم إلا بالقشرة السطحية من صور الحياة؟ ثم إذا هو يجلو عن ديارهم واحدة بعد واحدة؟ (١).

أما رسالة الإسلام، فإنها حين بسطت جناحيها على مجتمع شبه الجزيرة (وعلى غيرها) كانت كأنما أنشأته خلقا آخر .. لقد بدلته فى مناطقه المتفرقة وطناً واحداً، ومن قوانينه المختلفة قانوناً واحداً، ومن آلهته المتعددة إلها واحداً .. لقد نفذت إلى جوهر نفسه فحولته تحويلا، وبدلت أسلوب تفكيره تبديلا، بل عمدت إلى لغته، فأضافت لغة القرآن لساناً إلى جانب لسانه، وكثيراً ما أنسته لسانه الأصيل وجعلت الاسلام هو لسانه الوحيد.

إن هذا النجاح ليس مرده فى نظرنا إلى سبب واحد من الأسباب، ولا إلى فضيلة من الفضائل .. لقد تضافرت عليه شخصية الداعى ومناهج دعوته وشخصية الأمة التى تلقت تلك الدعوة، وطبيعة الدعوة نفسها، ومن وراء ذلك كله، كلاءة الله ورعايته.

---

* نشرت بالكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس، تحرير سعيد إسماعيل على ، القاهرة، دار الفكر العربى المجلدان الحادى والثانى عشر.

ويمكن أن نتبين أبعاد التغيير الإسلامى فى المظاهر التالية .

١- التوحيد السياسى:

فلعل من أبرز التغيرات التى أحدثها الإسلام وأعادت صياغة الحياة من جديد على أرض الجزيرة العربية، هى أنه جمع كلمة سكانها، فصاروا يداً واحدة مهما كان الاختلاف بينهم فى الأنساب وفى المواطن. وبدلا مما كان حادثاً من مفاخرات القبائل والبطون والأفخاذ، استطاع الإسلام أن يوحد بينهم تحت علم واحد كما يتضح لنا هذا من قوله ﷺ «المسلمون إخوة». وجاء على لسانه أيضاً يوم فتح مكة : «يا معشر قريش. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب» (٢). أما فى خطبة الوداع ، فقد قال ، «...أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى» (٣).

وكانت هذه الرابطة هى التى ساعدت على ظهور الأساس الذى قامت عليه الدولة الإسلامية، ونعنى به (الأمة الإسلامية)، فقد بدأ ميلادها فى رمضان من السنة القمرية التى تقابل عام ٦١٠م، عندما نزل الوحى على محمد ﷺ بأولى آيات القرآن الكريم، واتصل نزول الوحى على طول حياة الرسول حتى اكتملت عقائد الإسلام وشريعته وقانونه الخلقى (٤).

وأصبحت يثرب بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، معقل الإسلام وملجأ المسلمين (٥). وغدت تعرف باسم مدينة النبى، وتسمى اليوم (المدينة)، والمدينة المنورة) لوجود قبر الرسول بها (٦).

ومن هذا المجتمع الدينى فى المدينة، نشأت فيما بعد دولة الإسلام، وبقى الدين أس اجتماعها. وهذه أول محاولة فى تاريخ الجزيرة لتنظيم الجماعة العربية تنظيما غير مألوف من قبل قائماً على أساس دينى لا على أساس الدم كما كان فى الماضى أو مرتبطا بالله الواحد الفرد ممثل

الوحدة السياسية، وكان الرسول ﷺ على قيد الحياة هو المنفذ لتعاليم الله سبحانه وتعالى والمرجع الأحير فى شئون الأمة المدنية. وعلى هذا كان عليه الصلاة والسلام يمارس السلطة الزمنية نفسها التى يمكن أن يمارسها رئيس، ومن هنا أصبح جميع أفراد الجماعة الإسلامية، بقطع النظر عن نزعاتهم القبلية وولائهم القديم، إخوانا فى العقيدة وأعضاء فى أخوية واحدة، يجمعهم حب الله والاقتداء برسوله (٧).

وقد وضع النبى ﷺ دستورا لتنظيم الحياة العامة فى المدينة أو تحديد العلاقات بينها وبين جيرانها. ويدل هذا الدستور على مقدرة فائقة من الناحية التشريعية، وعلى علم كبير بأحوال الناس وفهم لظروفهم. وقد عرف هذا الدستور (بالصحيفة)، ولا نكاد نعرف من قبل دولة قامت منذ أول أمرها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية، فإنما تقوم الدولة أولا ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور، ولكن النبى ما كاد يستقر فى المدينة ، وما كاد العام الأول من هجرته إليها ينتهى، حتى كتب هذه الصحيفة التى جعل طرفها الأول المهاجرين، والطرف الثانى الأنصار، وهم الأوس والخزرج جميعا، والصرف الثالث، اليهود من أهل يثرب (٨).

وكانت مهمة النبى ﷺ السياسية بعد هذا تنحصر فى الدفاع عن حدود دولته وضمان الأمن لها، والأساس الذى نفسر به كل التصرفات السياسية، هو أن المدينة ومن انضم إليها، دولة واحدة غير متصلة بما عداها إلا بالشروط الجديدة التى وضعها النبى. ونستطيع أن نقول، أن حكومة المدينة ظلت قاصرة على المدينة نفسها وعلى ريفها إلى عام فتح مكة ٨هـ، فالطور الأول فى شكل الحكومة المدينية هو طور المدينة – الدولة City - state، وقد دام ثمانى سنوات. وكما حرص النبى ﷺ على أن يوجد داخل المدينة أداة للحكم وأن ينظم شئونها الداخلية، كذلك حرص عن طريق السرايا على أن ينضم إلى المدينة ما حولها من ريف وما حوله من قبائل(٩).

وبعد غزوة تبوك، أخذت بوادر الوحدة تظهر حيث أخذت القبائل

العربية تفد إليه معلنة إسلامها عن طوع واختيار، يقول ابن هشام فى ذلك: «ولما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف، وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه» (١٠)

وقد تمتعت المدن والقبائل بعد أن تحولت إلى الإسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتى داخل نطاق الدولة العربية الإسلامية ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين ويجبون منهم الصدقات، ثم يوزعونها بين الفقراء من أهل تلك البلاد أو يرسلونها إلى المدينة، وترك الرسول للأمراء الذين أسلموا ما كان لهم من سلطان فى بلادهم قبل إسلامهم (١١).

وبعد وفاة الرسول وتولى أبى بكر مقاليد الحكم حدث حادث ضخم، وهو الردة، وكان نجاح الخليفة الأول فى التغلب على المرتدين تصفية وامتحاناً وصقلا وتثبيتا للإسلام ومدا لأطرافه حتى يدرك كل شواطئ البحر الذى يطوق الجزيرة من أطرافها. وكانت هذه الحروب (تصفية) لأنها خلصت الدولة الناشئة فى المدينة من كل الشكوك التى أثارها موت الرسول ﷺ والخوف من أن يكون فى موت البانى، تصدع البنيان. وكانت (امتحانا) لهؤلاء النفر من الصحابة والمؤمنين ليستبين مكان العقيدة من نفوسهم. وكانت (صقلا) لكل مقومات الجماعة الإسلامية فى نظمها وفكرتها ووحدتها، فوضعت النظم موضع التطبيق، ووضعت الوحدة موضع الغرض الأسمى فى الحياة الجديدة. وكانت أخيرا تثبيتا للإسلام ومدا له (١٢).

ومهما كان الرأى فى فتنة عثمان. فهى من بعض وجوهها مظهر لاحتجاج بعض أفراد الجماعة على الطريقة التى كانت الأمور تساس بها . وسواء وافق الإنسان الثائرين على اعتراضاتهم أو أنكر الطريقة التى تصرفوا بها حيال السلطة الحاكمة، فإنه لا بد أن يسلم بأنهم كانوا يؤمنون بأن من حقهم أن يسألوا عما لا يفهمونه من تصرفات إدارة الخليفة وأعمال رجاله. حقا لقد تحول الأمر فيما بعد إلى كارثة الحرب الأهلية فى عهد الخليفة الرابع على بن أبى طالب، ولكن الطريق الذى سارت فيه الأحداث شئ، ومبدأ محاسبة السلطة الحاكمة على تصرفاتها شئ آخر. وهذا المبدأ

فى ذاته لا بد منه لكل مجتمع حر (١٣).

٢- البناء العقيدى :

فلقد جاء الإسلام بعقائد أساسية كعقيدة التوحيد، وهى «لا إله إلا اللّه» فكانت الدعوة إلى التوحيد ثورة على عقيدة الأغلبية من سكان الجزيرة العربية الوثنية، وحتى الأديان السماوية - المعروفة وقتئذ، كان قد اندس فيها نوع من الوثنية، فإله اليهود ، أصبح إلههم وحدهم ، وإنهم - بحسب ما يروى لنا القرآن - كانوا يعبدون (عزيراً)- أحد رجال زمنهم - على أنه ابن اللّه، كما كانو يتبعون ما جاء فى التوراة بحيث ضرب القرآن المثل بهم بقوله «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً» (١٤). ثم إن النصرانية العربية لم تعد نصرانية صحيحة، فالقبائل النصرانية فى الجزيزة كانت لها نفس طباع العرب فى الثأر، ومنهم من كان يحلف باللات والعزى من أصنام العرب (١٥). ومن ناحية أخرى أضحت عقيدة المسيحية غامضة بعد ما غلبت عليها الفلسفة اليونانية (١٦)، وكل فرقة فيها تختلف عن الأخرى فى جوهر العقيدة نفسها. ولا بد أن الجدل زعزع أسس هذه العقيدة، لذلك كانت دعوة الإسلام بالسمو إلى إله واحد، دعوة إلى الإيمان بالعقل (١٧).

والعقيدة فى الإله رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها. فمن عرف عقيدة قوم فى إلههم، فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان، ومن ثم صحة المقاييس التى يقاس بها الخير والشر وتقدر بها الحسنات والسيئات، فلا يهبط دين وعقيدته فى الإله عالية، ولا يعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة ليست مما يناسب صفات الموجود الأول الذى تتبعه جميع الموجودات (١٨) .

ولا شك أن هذه الصورة قد رفعت المستوى العقلى لعرب الجزيرة إلى درجة كبرى، فهذه الصفات التى وصف الإسلام بها اللّه، نقلتهم من عبادة أصنام وأوثان، وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر وإسفاف فى الفكر،

إلى عبادة إله وراء المادة ﴿لا تُدركُهُ الأبصارُ﴾. كان الإله عند أكثرهم إله قبيلة، وإن اتسع سلطانه، فإله قبائل، أو إله العرب، فأبانه الإسلام إله العالمين ومدبر الكون وبيده كل شئ، وعالماً بكل شئ، فاستطاع العربى بهذه التعاليم أن يرقى إلى فهم إله لا مادة له، واسع السلطان، واسع العلم. وأفهم الإسلام أن دينهم خير الأديان، وأن العالم حولهم فى ضلال، وأن نبيهم هادى الناس جميعاً، وأنهم ورثته فى هداية الأمم، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الأمم يدعونهم إلى دينهم ويبشرونهم به (١٩).

ولم يقف الامر عند حد الإيمان باللّه ووحدانيته، وإنما تضمن البناء العقيدى الجديد جوانب وأركان أخرى كان لها أثرها في تشكيل الإنسان على هذه الأرض، و هذا ما يمكن أن نبينه فيما يلى (٢٠).

- المعرفة بالملائكة، إذ تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير كما تدعو إلى الوعى الكامل واليقظة التامة، فلا يصدر من الانسان الا ما هو حسن، ولا ينصرف إلا لغاية كريمة.

والمعرفة بالكتب الإلهية، انما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للإنسان كى يصل بالسير عليه إلى كماله المادى والأدبى.

والمعرفة بالرسل، إنما قصد بها ترسم خطاهم والتخلق بأخلاقهم، والتاسى بهم باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس.

والمعرفة باليوم الآخر، هى أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر.

المعرفة بالقدر، تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقبات والصعاب، وتصغر دونها الأحداث الجسام.

وهكذا يبدو بجلاء أن عقيدة بهذه الصورة، يكون لها أثرها فى تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجهها نحو المثل الأعلى، وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو اسلوب من أعظم الأساليب التربوية حيث أن للدين سلطاناً على القلوب والنفوس وتأثيرا على المشاعر والأحاسيس،

ولا يكاد يدانيه فى سلطانه وتأثيره شئ آخر.

وإذا كان مجتمع الجزيرة قد وجد فى هذا البنيان العقيدى. ماهو كفيل بأن يغير «عقله»، فقد وجد أيضاً فى الإسلام «تدريبات عملية» «وتمرينات سلوكية» حتى لا ينحصر البنيان العقيدى داخل السطور وينحبس على صفحات الكتب، وإنما يجد الطريق مفتوحاً إلى «التطبيق» و «التنفيذ» و «التشخيص»، فكانت (العبادات).

والعبادات كانت لتربية الضمير لدى المواطن ليأتلف مع غيره ، ويرتبط به ارتباطاً روحياً. وقد روى أن النبى ﷺ قال : «المؤمن يألف، فلا خير فيمن لا يألف ويؤلف»، فما كانت العبادات لحاجة الله تعالى إليها ولا لمجرد التقرب إليه سبحانه حتى يكون ذلك التقرب ولو بظاهر من القول غرضاً مقصوداً، إنما كانت العبادات لتربية الضمير الدينى اللوام عند مقارفة معصية أو مقاربتها [٢١]، وللإحساس بالاطمئنان إذا كان متذكرا الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٢٢].

ولم تكن غايتها مجرد التقوى السلبية، بل اتجهت إلى النفع الإنسانى فى العالم سعيا وراء إيجاد مجتمع متحاب غير متباغض ولا متنازع، إذا كانت هذه العبادات لم تؤد إلى هذه الغنية العالية لدى البعض فى بعض الفترات، فإنها لم تكن عبادة محسوبة لأصحابها مرضية من الله، بل تكون محسوبة عليهم [٢٣].

٣- التنظيم الاقتصادى :

وليس من ريب فى أن الحياة فى شبه الجزيرة فى أصلها وكمالها، وسعادتها وعزها، من علم وصحة وقوة، واتساع عمران وسلطان، لم يكن سبيل إليه إلا بالمال، وقد نظر القرآن الكريم إلى الأموال هذه النظرة الواقعية، فوصفها بأنها زينة الحياة، وسوى فى ذلك بينها وبين الأبناء ووصفها بأنها قوام للناس وقوام الشئ ما به يحفظ ويستقيم وهى - كما

نرى قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة.

ولما كان الإسلام دينا عمليا، ينظم بأحكامه على أساس من الواقع مقتضيات الحياة ويزاوج فى الوقت نفسه بين مطالب الروح والجسم بميزان العدل والاستقامة، وقد رسم للروح طريق سعادتها، كان من الضرورى أن يرسم أيضا للمادة طريق سعادتها، ويأمر بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها. ومن هنا أمر بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس، فيها النشاط العملى، فيها عمارة الكون، والتقلب فى الأرض، فيها الاختلاط والتعارف والتعاون والمبادلة (٢٤).

ومن هنا فقد سار المواطن المسلم الذى تشرب العقيدة الإسلامية على حقيقتها صافية نقية فى هذه الفترة على أرض الجزيرة فى المجال الاقتصادى على هدى مبادئ ثلاثة (٢٥):

المبدأ الأول : أن هذه الحياة الدنيا هى دار العمل، وهى مزرعة الاخرة، فلا يتصور أن يمضى الإنسان فيها عمره سدى أو أن يقاطعها ويخاصمها بدعوى أنه يؤثر الآخرة ويعد نفسه لها، فهذا النوع من الزهد غريب كل الغرابة على روح الإسلام ومخالف للثابت من نصوصه، والاستعداد للآخرة لا يتم على أرض غير هذه الأرض، ولا يقع فى زمان يجاوز عمر الإنسان.

المبدأ الثانى : أن الله قد أحل الطيبات لعبده المؤمنين ولم يضطرهم إلى شئ من التآثم وتعذيب الضمير إذا هم أخذوا من هذه الطيبات بنصيب لم يسرفوا فيه ولم يقتروا « ﴿وكان بين ذلك قواما﴾ (٢٦)، ﴿قُل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيّبات من الرزق﴾ (٢٧).

المبدأ الثالث إن رسالة المسلم فى الحياة، رسالة مزدوجة، فهى فى جزء منه تعمير للكون ... وفى جزء آخر ترشيد لحركته وهداية لها حتى تستقيم على أمر الله. ويقول تعالى ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (٢٨)، ثم يدعو إلى تعميرها وإثرائها والحفاظ على خيرها، ويحذر من

إفسادها وتدميرها. ويقول ﷺ : «من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، كان له فى كل شئ نصاب من ثمرها صدقة عند اللّه عز وجل» (٢٩).

وقامت «الملكية» على أرض الجزيرة على الأسس الإسلامية، ومن تحليلنا لهذه الأسس نخرج بالنتائج التالية. (٣٠)

١- أن هذا التحليل يرينا للملكية أنواعا ثلاثة، فهناك ملكية بقيت على أصلها ملكا لله لم تمسها يد بشر لا الفرد ولا الجماعة، مما خلقه اللّه ولم يحرزه البشر، ولم ينتفعوا به سواء أكان فى الأرض التى نسكنها أو فيما فوقها.

٢- وهناك ملكية استحوذ عليها المجتمع كله كالبحار الكبرى، أو جماعات منه مما لا يزال عاما مشتركا مشاعا بينهم، أو جماعات معينة كأهل قرية لهم مراع، أو أرض مشتركة لم يحرثوها ولم يزرعوها.

فهذا النوع من الملكية تعلق به حق المجتمع كله أو بعض جماعاته مع استمرار حق اللّه فيه الذى هو المالك الحقيقى لما فى الكون.

٣- وهنالك أخيراً ملكية أحرزها إنسان بعينه بسبب مشروع اكتسب به على الشئ المملوك حقاً خاصاً به لا ينازعه فيه غيره، يتصرف به وينتفع بمنافعه وثمراته مع بقاء الأصلين السابقين اللذين هما حق اللّه الأصلى فى الملك، وحق الجماعة التى بقى لها بعد إحراز الفرد الملكية نوع خاص من الحق تظهر آثاره فى أحكام الملكية الفردية نفسها وما تقيد به من قيود وتتحمله من واجبات دون أن يعنى ذلك نفياً للملكية الفردية ولا إنكاراً لها (٣١).

٤- إن حق الفرد فى التملك منبثق عن تخصيص اللّه له بهذه الملكية بسبب مشروع وليس هو موظفاً على ملكيته من قبل الجماعة أو المجتمع، وليست الجماعة هى المالك الحقيقى لأن الفرد أحرزها

بحكم من اللّه وبتخصيص من التشريع الإلهى نفسه، ولكن اللّه الذى ملكه، أمره أن يراعى حق عباده، أى المجتمع وأن يتحمل بنسبة قدرته بعض تكاليف الجماعة وحاجاتها سواء أكانت هذه الجماعة أقاربه وأسرته أم كانت أهل بلده أم المجتمع الكبير الذى ينتمى إليه.

وإذا كان المال قد تدفق فى عهد الفتوح الإسلامية التى بدأت فى عهد أبى بكر ثم استمرت فى خلافة عمر وعثمان، بل سال سيله الذى لا ينقطع على المدينة ومكة، فهنا نشأت الظاهرة الاجتماعية المعروفة وهى انقسام المجتمع إلى طبقتين : طبقة الفقراء، وطبقة الأغنياء، بل أصحاب الملايين. ويظهر أن الفقر الذى كانت تعانيه بعض الطبقات فى هذه الحقبة كان شديدا قاسياً أثار القلوب الرحيمة ودفع عدداً من طبقات المفكرين إلى البحث عن حل له. والنقطة الأساسية فى الموقف، هى مدى حق الفقراء فى أموال الأغنياء، فقد كان أبو ذر الغفارى، وعدد آخـــر من كبار الصحابة منهم على بن أبى طالب نفسه وعبداللّه بن عمر يعتقدون أن الزكاة ليســت كل الواجــب، ولكنهم اختلفوا فى تحديد المقدار الذى يجب بعد أداء الزكاة[٣٢].

٤- التنشئة الاجتماعية الفاضلة:

ولقد أجهد الفلاسفة ودعاة الإصلاح أنفسهم قديماً وحديثاً فى تصور المدينة الفاضلة أو المجتمع الفاضل ولم يتجاوز أمرهم نطاق حلم لذيذ فى نومة مسترخية، ولعل السبب فى ذلك، أن البناء الاجتماعى الذى تصوروه، كان يعوزه من المقومات الأصلية ما يمنحه التماسك ويعطيه صلابة المناعة وصمود المقاومة، كما كان ينقصه الملاءمة بين التصور والواقع.

وللمجتمع الفاضل مظاهر لا ينبغى أن تكون موضع خلاف، وأبرز هذه المظاهر شيوع الأمن وقيام العدالة، وسيطرة نوازع الخير، والاستجابة لمعطيات التطور، وهذه المظاهر تلتقى على نقاء العلاقات الإنسانية

وصفاتها فى تفاعلها مع الحياة والأحياء.

وكل ذلك قد بدأ متجسدا فى المجتمع الذى أقامه الإسلام على أرض الجزيرة فى سنواته الأولى حيث شاع الأمن، وقامت العدالة وسيطرت نوازع الخير [٣٣] ،وهذا ما نستطيع تبينه من خلال الملامح الآتية :

- فقد حذرت الشريعة الإسلامية من ارتكاب المحرمات على وجه العموم منذرة بعقوبة الآخرة على صورة تثير فى نفوس المؤمنين شدة الخوف من الإقدام على شئ منها وتدفع فى الوقت نفسه عن المجتمع كثيرا من شرورها، ثم وضعت لبعض الجنايات عقوبات دنيوية إلى جانب العقوبات الأخروية حتى يتآزر فى دفعها وزجر الناس عنها، رادع الدين ورادع السلطان.

فما كان من الجنايات خفيفاً لا يمكن ضبطه بمظاهر محددة كالغيبة والنميمة والحسد، والحقد، والكذب، وغير ذلك مما يتصل بالجانب الخلقى أكثر من اتصاله بالجانب العملى أو كان متصلا كثيرا بالجانب العملى،ولكن لم يأخذ الصورة القصوى من صور الإجرام كأخذ المال غصباً، اقتصرت فيه على التحذير بالعقوبة الأخروية، التى ترجع إلى العليم بما تنطوى عليه الجوانح وما تخفيه الصدور، وما كان منها متصلا بالحياة العامة وله آثاره السيئة فى حقوق الأفراد والجماعات، وله من عناوين الإغراق فى الشر أقصاها، جعلت له عقوبات دنيوية على الحاكم تطبيقها وتنفيذها. [٣٤]

- وإذا كان الإسلام قد قرر أن الناس درجات، إلا أنه وضع الكثير من الضوابط التى حالت بين المجتمع الإسلامى وبين وقوع أبنائه فى براثن سوء الاستغلال والطبقية بصورتها القبيحة، ذلك أن تفضيل بعض الناس على بعض فى الدنيا حسب حظوظهم من الحياة وتفاوتهم فيها على قدر تفاوتهم فى قدراته وعملهم، أمر ظاهر ملموس لا مناص منه لا فى الإنسان فحسب ولكن فى كل ما خلقه اللّه في هذا الكون. ومن هنا نجد أن أكثر ما عنى بالدرجة والدرجات فى آيات القرآن الكريم، إنما هو الحديث عن المكانة

والمنزلة التى جعلها الله لعباده فى الآخرة في الجنة أو فى النار حسب مقاماتهم التى تهيئها لهم فى أعمالهم ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٣٥) والنعيم فى الآخرة متفاوت وعلى درجات، كما أن العذاب كذلك. وهذه المقامات والدرجات وإن كانت خاصة بالآخرة، إلا أنها توحى للمؤمنين العقلاء أن يلتزموا بالميزان الذى يزن الله به هؤلاء، وهو الأعمال المرتكزة على العقيدة السليمة لا المال . (٣٦)

– إذا كان الفرد هو اللبنة الحية فى بناء المجتمع الإسلامى، كان من البديهى أن يهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالمحضن الطبيعى الذى يقوم على رعايته، وليس هناك أجدر ولا أحق من الأسرة مكاناً لهذه الرعاية، ومن ثم فقد اهتم بتكوينها بالأمور الآتية : (٣٧)

١- حرم الزواج بالأقربين سموا بهذه القرابة ورغبة فى امتداد الأسرة وسعتها ووقاية لهذه الدائرة القريبة من شواجر الخصومة والبغضاء.

٢ قرر حق الرضاعة والحضانة اهتماماً بالطفولة وحفاظا على الرابطة لأسرية كى تمتد وتزدهر فلا تنقطع ولا تتوقف.

٣- قرر حق النفقات للأصول على الفروع، والفروع على الأصول على تفصيل مذكور فى كتب الفقه.

٤ وقرر التوارث بنظام فريد يحفظ لكل ذى قرابة حقه.

٥ وقرر حق العتق لمن ملكه قريبه.

٦ وقرر وجوب صلة الأرحام بالبر والتعهد والزيارة.

- ألغى الإسلام الرق الناشئ عن القرصنة و الاختطاف، والرق الناشئ عن تجريد الإنسان من حريته الشخصية بسبب استغراق ذمته بدين ونحو ذلك والرق الجماعى الناشئ عن السيطرة والاستيلاء على البلاد العدوة، أما الصور المتبقية، فقد وضع أسس إبطالها فى المستقبل.

هذه هى مجرد لمحات من التغيرات الجذرية التى أحدثها الإسلام

على أرض شبه الجزيرة وفى غيرها بطبيعة الحال، مثلت «مسرح» العمليات التربوية .. وبتعبير أدق مثلت (الإطار الأيديولوجى) للعمل التربوى. وقد قلنا (لمحات) لأنها قطرات من بحر كبير يقتضى استيفاءه كتباً عدة.

ثانياً - الأسس التربوية كما حددها الإسلام

وإذا كانت شبه الجزيرة قد شهدت فجر الإسلام بكل ما يمثله وجوده من معانى التغيير والتجديد والتطوير لحياة الانسان إلى الدرجة التى جعلتنا نذهب إلى القول بأنه قد خلقه من جديد - والخلق هنا مجاله السلوك والتفكير والقيم والعادات الاتجاهات وكل مكونات الشخصية- فإن من المنطقى أن يحرص الإسلام على أن يضع صورة كاملة متكاملة للطريقة التى أعاد بها صياغة هذا الإنسان، وبمعنى آخر، كان من الطبيعى أن تحتل التربية مكانة ممتازة فى الإسلام حيث أنها - كما نعلم - عملية عن طريقها تحول الأفكار والمعتقدات إلى سلوك وعادات واتجاهات وقيم تحدد للانسان الطريق إلى الأهداف المطلوبة :

ومن ثم فقد كان لزاما علينا أن نحاول التعرف على بعض هذه الطرق، وكذلك بحث ما قامت عليه من أسس ومفاهيم كى يتم لنا التعرف على مرحلة خصبة وخطيرة من مراحل تطور التربية والتعليم فى هذا البلد. وإنه لمما يدعو إلى الفخر والتقدير حقا، أن تكون تلك المرحلة هى المهد الأول للتربية فى كل العالم الإسلامى فى مختلف العصور وإن دخلت عليها بعد ذلك عوامل التبديل والمؤثرات الأجنبية وأسباب الجمود والتخلف التى عرفها ذلك العالم فى عصور تالية.

١- المفهوم الشامل "للعلم" و "التعليم"

فلقد حدد القرآن الكريم للعلم معنى شاملاً لا يجعله يقتصر - كما ظن البعض خطأ - على العلم الدينى، وإنما :

(أ) جملة المعارف التى يدركها الانسان بالنظر فى ملكوت السموات

والأرض، وما خلق من شئ، ويشمل الخلق هنا، كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة. (٣٨) وهذا المعنى يفهم من هذه الآيات العديدة التى تحض الإنسان على البحث والدراسة لما فى الكون من مظاهر مختلفة، منها على سبيل المثال :

﴿ أفلم يروا إلىٰ ما بَيْنَ أيْديهِمْ وَما خلْفَهُم مِّنَ السَّماء وَالأَرْضِ ﴾ (٣٩). ﴿ وفي الأَرْض آياتٌ لِّلْمُوقنينَ، وفي أَنفُسكُمْ أَفلا تُبْصرُون ﴾. (٤٠) ﴿ سنُريهِمْ آياتنا في الآفاق وفي أنفُسهِمْ حتَّىٰ يتبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٤١). ﴿ أفَلا ينظُرُون إلى الإبلِ كيْف خُلقت ، وإلى السَّماءِ كَيْف رُفعتْ ، وإلى الجبال كيْف نُصبتْ ، وإلَى الأرْض كيف سُطحتْ ﴾ (٤٢).

﴿ إنَّ في خلْق السَّمٰوَات والأَرْضِ وَاخْتلاف اللَّيلِ والنَّهار وَالْفُلْك الَّتي تجْري في الْبحْرِ بما ينفعُ النَّاسَ وما أنزل اللَّهُ من السَّماء من مَاءٍ فأَحْيا به الأَرْض بعْد موْتها وبثَّ فيها من كُلِّ دابَّةٍ وتصْريف الرِّيَاحِ والسَّحاب الْمُسخَّرِ بيْن السَّماء وَالأَرْضِ لآيات لِّقوْمٍ يعْقلُون ﴾ (٤٣)

وعلى ذلك فالعلم الذى وجد العربى نفسه مطالباً بالسعى وراءه، يشمل كل ما يوسع المدارك ويبصره بأمور الحياة، ويفيده توفيقا وقدرة على الاستفادة بكل ما خلق الله لإسعاد البشرية، فإدراك طبيعة الأرض وما يحيى مواتها ويجعلها تنبت وتثمر، علم مطلوب دراسته وتعلمه. وما يصلح الحيوان ويسخره لخدمة الإنسان واكتمال الانتفاع به، علم يدعو القرآن إلى تعرفه، وطرق الكسب المشروعة لتحصيل المال واستثماره على الوجه الذى ينظم موارده ومصادره ويمنع التحكم والاحتكار ويزيل الحقد والغل من النفوس، علم يجب التعرف عليه والتسلح به، والتعرف على الصناعات بأنواعها التى تيسر للإنسان سبل الحياة وتمكنه من الانتفاع بالقوى الكامنة فيما خلق الله علم مطلوب منه الوقوف عليه، وما يحفظ به الأنفس من الهلكة بمقاومة لأمراض والعلل وطرق علاجها والوقاية منها، علم وجب التزود به،

وكل ما يمكن إعداده من قوى يدفع بها الأذى والعدوان ويرهب به من تحدثه نفسه العبث بالأمن والسلام، علم وجب التعرف عليه. (٤٤)

(ب) «التبصر فى أى أمر من الأمور، والإتيان به على الوجه الأكمل» (٤٥) أو بمعنى آخر هو طريقة تفكير ومنهج وبحث، وهذا يفهم من قوله تعالى :«هل يستوى اللذين يعلمون واللذين لا يعلمون»؟ وهو استفهام استنكارى، معناه أنه لا يستوى عالم وجاهل. وقد قال تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ والبصيرُ أَمْ هلْ تَسْتَوي الظُّلُماتُ والنُّورُ﴾ أى أن الظلمة لا تساوى النور، فبين الله لنا أن الظلمة مثال لحال من لا يعلم وأن النور مثال لحال من يعلم، نتبين من ذلك أن عدم العلم يشبه الظلام، ونحن نعلم ما يكون من الإنسان إذا اشتد به الظلام وهو سائر فى طريق يقصد غاية معلومة، فان الظلام يعمى عليه الطريق وربما سلك طريقا يبعده عن مقصده، وقد يصادف هوة فيسقط فيها فيهلك قبل الوصول إلى مقصده (٤٦).

ولذلك كانت عملية (التعليم) شاملة بنفس المعنى أيضاً (٤٧)، فسبحانه وتعالى إذ يقول ﴿كما أرسلْنا فيكُمْ رسُولا مّنكُمْ يتلُو عليْكُمْ آياتنا ويُزكّيكُمْ ويُعلّمكُمُ الكتاب والحكْمة ويُعلّمُكُم مّا لمْ تكُونُوا تعْلمُون﴾ (٤٨)، فإن هذا يعنى أن الرسول ﷺ يعلم المسلمين تلاوة القرآن، وهذه التلاوة لها مقوماتها وأركانها التى تجعل من يتلو القرآن يكون قد تلاه (حق تلاوته). وهى الفهم والوعى والتدبر، فهى بهذه الصورة تؤتى أكلها، ويجنى القارئ ثمارها، هذه الثمار التى تتبدى فى تطهير النفس البشرية من أدران الرذيلة وسوء الخلق مما يجعلها فى حالة تسمح له بتلقى الحكمة وتعلم كل ما ينفعها ومالم تكن تعلمه.

ويجب أن ننبه هنا إلى أن المقصود بالحكمة هنا هو النتيجة النهائية التى يصل إليها الإنسان بعد تحصيل قدر كاف من المعرفة والتمرس بطرق التفكير السليم مطعما هذا وذاك بتجارب الأيام وخبرة الحياة، ومن هنا كان الحاصل عليها مستحقا الثناء ومعتبرا من الحاصلين على

الخـــير الكثير ولا يدرك ذلك ويعيه حق الوعى إلا من أعمل عقله بذكاء كما يقول تعالى: ﴿يؤْتِي الْحكْمة من يشاء ومن يؤْت الْحكْمة فقد أُوتي خيْرًا كثيرًا وما يذّكّرُ إلاّ أُولُوا الأَلْباب﴾ (٤٩).

٢- التعلم حق .... وواجب :

وإذا كان العلم فى الإسلام يتسع ليشمل المعرفة بجميع مجالاتها مما فيه النفع والتعمير للكون والمجتمع، وإذا كان «التعليم» أيضا لا بد أن يكون عملية شمولية متكاملة، كان التعلم واجباً على كل مسلم، وكان حقا له على المسئولين توفير فرصه وسبل الحصول عليه، وهذا ما نتبينه من عديد من ايات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم، فتارة نجد ما يفيد التعلم كواجب، وتارة نجد ما يفيد التعلم كحق، وتارة ثالثة نجد الأمرين معا فى ترابط وعروة وثقى.

فما يفيد التعلم كواجب، ذلك الأمر الربانى الذى تدل عليه الآية الكريمة: ﴿اقْرأ باسم ربِّك الَّذى خلَق ، خلَق الإنسنَ من علق ، اقْرأ وربُّكَ الأكرم ، الَّذى علَّم بالْقلم ، علَّمَ الإنسنَ مالَم يعلَم﴾ (٥٠). ومغزى أن تكون القراءة باسم الله ، هو تطهيرها مما قد يشوبها من أغراض شخصية بحتة وأهداف تخريبية وشطحات عنصرية.

والله سبحانه وتعالى إذ يجعل من أصحاب العلم فئة تستحق التقدير والامتياز كما فى قوله: ﴿يرْفعِ اللَّهُ الَّذين آمنُوا منكُمْ والَّذين أُوتُوا الْعلْم درجات﴾ (٥١)، أو يقرنهم باسمه الكريم وبالملائكة فى شهادة التوحيد كما فى قوله: ﴿شهد اللَّهُ أنَّهُ لا إله إلاّ هُو والْملائكةُ وأُولُوا الْعلْمِ قائما بالْقسْط لا إله إلاّ هُو الْعزيزُ الْحكيمُ﴾ (٥٢). إنما يعنى إيجاب سعى المسلم للحصول على هذا الشرف وذاك التقدير. وقد أكد القرآن طلب الإقبال على العلم ومواصلة تحصيله وجعله الوسيلة التى يصل بها المرء إلى معرفة الخالق والإيمان به، وعاملا من عوامل خشيته فى قوله تعالى: ﴿إنّما يخْشى اللَّه من عباده الْعُلماءُ﴾ (٥٣).

كذلك جعل الرسول ﷺ طلب العلم واجبا على كل فرد مسلم حيث قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (٥٤). ويمثل الترغيب فى طلب العلم جانبا من أحاديث الرسول الكريم، فعن أبى الدرداء أنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً، سهل اللّه له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً مما يصنع، وإن العالم ليستغفر له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض، حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (٥٥).

أما التعلم كحق، فنعنى به إلزام فريق من المسلمين المتعلمين بتعليم غيرهم ممن لا يعلمون لا على أساس أن ذلك منة يمنون بها عليهم، ولكن على أساس أن ذلك حق لهم، فكما أن الذى رزقه اللّه من الثروة المادية الشئ الكثير، قد ألزم بأن يعطى مما أفاض اللّه عليه لمن لا يملك، فإن نفس الحكم يصدق فى موضوعنا، لأن المتعلم هنا يملك : ثروة لا تقل عن الثروة المادية، إن لم تفضلها ثروة فكرية، والجاهل فقير علمياً.

ومن الآيات القرآنية التى تبين، ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (٥٦) ويؤكد محمد رشيد رضا (٥٧)، إن العبرة فى هذه الآية هى أن حكمها عام، وإن كان سببها خاصاً ، فكل من يكتم آيات اللّه وهدايته عن الناس، فهو مستحق لهذه اللعنة، ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على من قد يلبسون لباس الدين من المسلمين وينتحلون الرئاسة لأنفسهم بعلمه، فيقول بعضهم : إن الكتمان لا يتحقق إلا إذا سئل العالم عن حكم اللّه تعالى فكتمه، ويأخذون من هذا التأويل قاعدة، هى أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما أنزل اللّه تعالى ودعوة الناس إليه وبيانه لهم، وإنما

يجب على العالم أن يحيل على غيره، ... إلا أن الفهم السليم للقرآن الكريم يبين أنه لم يكتف بالوعيد على الكتمان، بل أمر ببيان هداه للناس وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتوعد من يترك هذه الفريضة، وذكر لهم العبر فيما حكاه عن الذين قصروا فيها من قبل، كقوله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ...» وقوله «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير» .. إلى قوله فى المتفرقين عن الحق «وأولئك لهم عذاب عظيم»، وقوله «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم».. إلى قوله فى عصيانهم الذى هو سبب لعنهم «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه» فأخبر سبحانه و تعالى أنه لعن الأمة كلها لتركهم التناهى عن المنكر.

وفى موقف آخر نجد الله يقرن التعليم بالخروج إلى الجهاد فى سبيل الله حيث يقول : ﴿ وما كان الْمُؤْمنُون لينفرُوا كافَّةً فلوْلا نفر من كُلِّ فرْقةٍ منْهُمْ طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدِّينِ وليُنذرُوا قوْمهُمْ إذا رجعُوا إليْهمْ لعلَّهُمْ يحْذرُون ﴾ (٥٨).

كذلك قال رسول الله ﷺ : «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، وافتوهم». (٥٩)

وإذن فالمسألة ليست فى مجرد إعطاء المسلم حقه فى التعليم، وإنما يجب أن يتم ذلك فى جو من الرضى والتبسط والبشاشة، إذ أن ذلك من شأنه أن يسهل طريقه على المتعلم ومن شأنة أن يثبته ويدعمه.

وقد طلب الرسول ﷺ من المتعلم ألايكون أنانياً يمنع العلم عن الآخرين، ففى الحديث الذى رواه أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال : «من سئل عن علم فكتمه ألجمه يوم القيامة بلجام من النار».(٦٠)

أما الأحاديث التى تعنى الأمرين معاً، فمن مثل قوله عليه الصلاة والسلام : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

٣- المفهوم الشامل لشخصية المتعلم :

ووضع الإسلام تصوراً للإنسان – موضوع التعلم، والذى ينصب عليه فعل التربية – يقوم على المفهوم الشامل الذى لا يقتصر على جانب منه دون آخر وإنما يتناوله فى كليته وبنفس المنهج المتكامل الذى عالج به القضايا الأخرى.

ولعل أول ما يستوقف المربى حقاً فى القرآن الكريم، هو تلك المنزلة الرفيعة التى احتلها فيه الإنسان بين سائر المخلوقات، ويتجلى لنا هذا فى قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾. (٦١)

وخلافته للّه فى الأرض – كما نفهمها من آيات اللّه البينات – تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها، وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع بما خلق اللّه.(٦٢)

وهذه الرسالة التى ائتمن الإنسان عليها، تستلزم أن يكون له من الخبرة ما يمكنه من أدائها، وقد أنعم اللّه عليه بما يحتاج إليه فى هذا السبيل، فمنحه القدرة على التعلم والانتفاع بكل ما تقع حواسه عليه حين منحه المعرفة التامة لخصائص الأشياء وصدق اللّه إذ يقول : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾. (٦٣)

ولتتم خلافته عن اللّه فى الأرض، كان لا بد أن تخضع له المخلوقات الأخرى ليتم انتفاعه بها كما ينبغى، وتلك نعمة أخرى أسبغها اللّه عليه إذ سخرها له وأسس قيادها لنفعه. ومن اليسير أن ندرك أن تسخير هذه المخلوقات للإنسان يتم عن أحد طريقين (٦٤) :

أولهما : القوانين التى خلق اللّه العالم عليها وجعلها بحيث تسد حاجات الإنسان المتباينة دون أن يكون له يد فى تسييرها أو قدرة على

تغيير مجراها. وقد عبر عنها القرآن فى قوله : ﴿اللَّهُ الَّذي خلق السَّموات والأرض وأنزل من السَّماء ماءً فأخْرج به من الثَّمَرَات رزْقًا لَكُمْ وسخَّر لكُمُ الْفُلْك لتجْري في البحْر بأمره وسخَّر لكمُ الأنْهارَ (٣٢) وَسَخَّر لكُمُ الشَّمْسَ والْقمر دائبين وسَخَّر لكُمُ اللَّيْل والنَّهار﴾(٦٥) أما الطريق الثانى لتسخير المخلوقات الأخرى للإنسان، فهو القدرة على التعلم التى وهبه اللّه إياها، وبواسطتها يستطيع أن يخضع هذه المخلوقات لإرادته ويوجهها الوجهة التى تصلح من شأنه وتسد من حاجته، وقد عبر القرآن عن ذلك فى مثل قوله : ﴿وَالأنْعام خلقَها لَكُمْ فيهَا دفْءٌ ومنافعُ ومنْها تأكُلُون (٥) ولكُمْ فيها جمالٌ حين تُريحُون وحين تسْرحُونَ (٦) وتحملُ أثْقَالَكُمْ إلىٰ بلدٍ لَّمْ تكُونُوا بالغيه إلاَّ بشقِّ الأنفُسِ إنَّ ربَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحيمٌ (٧) والْخيْل والْبغال والْحَمير لتركْبُوها وزينة ويخْلُقُ ما لا تعلَمُون(٨)﴾(٦٦)

ومن الطبيعى بعد ذلك أن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله هو وما قدمته يداه، ولايحمل وزر غيره، كما أن غيره لا يحمل وزره، هذا هو الإنسان المسئول (٦٧) إذ لا يعقل بعد أن يهيئ اللّه له كل هذه الإمكانات، ويكرمه ويسخر له كثيراً من مخلوقاته أن يكون غير مسئول.
﴿وكُلَّ إنسانٍ ألْزمْناهُ طَائرهُ في عُنُقه ونُخْرجُ لهُ يوْم الْقيامة كتابًا يلْقاهُ منشُورًا ، اقْرأْ كتابك كفىٰ بنفْسك الْيوْم عَليْك حسيبًا ، من اهْتدىٰ فإنَّما يهْتَدي لنَفْسه ومَن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليْها ولا تزرُ وازرةٌ وزْر أُخْرىٰ وما كُنَّا مُعذّبين حتَّىٰ نَبْعث رسُولاً﴾ (٦٨) .

كذلك نرى هذا المبدأ واضحا فى تلك الكلمات التى جاءت على لسان رسول اللّه ﷺ: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته» (٦٩).

والرعاية المقصودة هنا لو حللناها تحليلا علميا دقيقا، فسوف نجد أنها تتفق تماماً مع المعانى المتضمنة فى كلمة (التربية) بحيث يمكن لنا أن نستنتج أن الرسول هنا يلقى المسئولية التربوية على عاتق كل فرد، فهى مسئولية يشارك فيها الجميع وليست عبئاً يتحمله البعض.

ومن مظاهر تلك النظرة الشمولية، والتعامل مع الإنسان بما فطر عليه وهذا يتضح لنا من أمور ثلاثة (٧٠) :

الأول . أنه راعى الفطرة الإنسانية بشكل عام، ولذلك لم يحاب فئة من فئات الناس، ولا طبقة من طبقاتهم، ولا عنصرا من عناصرهم على حساب الفئات و الطبقات والعناصر الأخرى فيما قرره من أحكام وماساقه من مبادئ، وما أرشد إليه من مناهج ووسائل.

الثانى : أنه راعى فى نظرة شاملة، (اختلاف الخصائص التكوينية والفروق الفردية فى تحديد مسئوليات الأفراد) فمن ارتقت خصائصه من الناس، عظمت مسئوليته بمقدار ارتقائها، ومن انخفضت خصائصه منهم قلت مسئوليته بمقدار انخفاضها، ومن ارتبطت به مسئولية خاصة أو عامة، كانت له حقوق مماثلة وعليه واجبات أيضا مماثلة.

الثالث : أنه راعى فى شمول رائع اختلاف الأحوال والأعراف الإنسانية التى تستدعى اختلافا فى الأحكام الشرعية وذلك بشكل عام أيضا.

والإسلام حين يرسم منهاجا لتربية الإنسان، لا يضع فى اعتباره الجانب الروحى الذى يهم الأديان عادة، وإنما يضيف إلى ذلك، ضرورة تربية (جسم الإنسان)، وما يحتاج إليه من ماديات ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٧١). ويقول أيضا :

﴿ نساؤُكُمْ حرْثٌ لَكُمْ فأْتُوا حرْثكُمْ أنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٧٢) .

وهو فى تربيته للجانب اللامادى يضع الحجر الأساسى لهذا اللون من التربية بضرورة الإيمان باللّه. والإيمان باللّه ليس قولا ولا شهادة ينطق بها اللسان وحده، ولا آيات من القرآن تتلى فى مقام الاستشهاد بالارتباط بالإسلام (٧٣)، ولكن للايمان باللّه مقتضيات تستوجب التضحية ﴿إنَّما الْمُؤْمنُون الّذين آمنُوا باللّه ورسُوله ثُمَّ لَمْ يرْتَابُوا وجاهدُوا بأمْوالهمْ وأَنفُسهمْ فِي سبيل اللّه أُولئك هُمُ الصَّادقُون ﴾. (٧٤)

وأخيرا، فهناك تلك الشمولية التى تجمع بين الفردية والجماعية فى إطار متكامل، إذ لا مجال لإنكار اهتمام الإسلام بالفرد وعنايته البالغة بتهذيب ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه، (٧٥) وهى عناية قد يسئ المحدثون فهمها فيما يسمعون من اتجاه المذاهب العصرية إلى المجتمع على تفاوت بينها فى موقفها من الفرد بين إهدار شخصيته أو الاعتراف بها بقدر محدود.

إن الذى نود إيضاحه هنا، هو أن الإسلام ألغى الحواجز غير الطبيعية بين الفرد والجماعة، فهما فيه لا ينفصلان، وهو فى عنايته بالإنسان فردا، إنما ينظر فيه إلى اجتماعيته التى لا يمكن تصور إنسانيته بمعزل عنها كما لا يتصور كيان اجتماعى بغير أفراد.

وفى الحق أن الذاتية الجماعية أصيلة فى العرب، عرفت فى نطاق القبيلة، يحقق فيها الفرد ذاته غير منفصل عنها، ولكن الإسلام فى رفضه لعصبية القبيلة اتجه بهذه الذاتية الجماعية الأصيلة إلى نطاقها الرحب فى الأمة، يحقق الفرد فيها ذاته، ويستقيم أمر الجماعة بصلاح أفرادها فى اندماج وثيق.

٤- الاستقامة الخلقية :

والاستقامة الخلقية هى التى تدفع الإنسان إلى أن يسلك سبيل الخير لا سبيل الشر وسبيل الهدى لا سبيل الضلال، وسبيل الحق لا سبيل الباطل، وسبيل العدل لا سبيل الظلم، وسبيل الأمانة لا سبيل الخيانة، وبذلك يعمل العمل الصالح ويحقق الحياة الأفضل.

والاستقامة إنما تعنى ممارسة الإنسان الحياة فى إطار من القيم والمبادىء والآداب العامة التى رسمها الإسلام ودعا الناس إلى الإيمان بها وممارسة الحياة على أساس منها.

والظاهرة الجديرة بالتسجيل فى هذا المقام أن القرآن الكريم يسوق هذا المطلب فى صيغة الأمر المباشر فى بعض الأحوال، وفى أحوال أخرى بصيغة غيرمباشرة. (٧٦) والفرق بين الصيغتين، إنما ينبت من طبيعة الشخصية الإنسانية المطالبة بتحقيق الاستقامة ويعكس هذا الفرق فى الوقت ذاته طبيعة الاستقامة، فالقرآن الكريم حين يطلب من القادة أو من الأنبياء والمرسلين والمصلحين الاستقامة، يطلبها بصيغة الأمر المباشر على أساس أن المهام الملقاة على عاتقهم تجعل منهم النماذج التى تحتذى وينسج على منوالها وهذا يتطلب منهم أن يكونوا من المستقيمين أصحاب الإرادات القوية والعزائم الجبارة والأخلاق الحميدة. يقول تعالى مخاطباً النبى ﷺ (فاستقم كما أمرت).

والقرآن الكريم حين يطلب من بقية الناس وبخاصة المسلمين أن يكونوا مستقيمين، ويطلب ذلك عن طريق طلبه منهم : التوجه إلى الله بالدعاء أن يهديهم الطريق المستقيم، يقول تعالى : ﴿اهْدنا الصِّراط الْمُسْتقِيم (٦) صراط الَّذين أنعمت عليهِم غير الْمغْضُوب علَيهم ولا الضَّالِّين﴾. وهذه الصيغة وكونها فى

سورة الفاتحة ، تدل دلالة قوية على أهمية الدور الذى تلعبه الاستقامة فى الحياة العامة، وتدل فى الوقت نفسه على أن تحقيقها يحتاج فعلا إلى العزائم الجبارة والإرادات القوية . (٧٧)

ومن هنا مجد الإسلام الأخلاقيات الفاضلة، وحث على مكارم الأخلاق حثا شديداً، ونظراً إلى شرف منزلة الأخلاق، أثنى اللّه عى رسوله محمد ﷺ بقوله ﴿وإنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عظيمٍ﴾ (٧٨) وحصر الرسول مهام بعثته بإتمام الأحداث الخلقية، فقال : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وللأخذ بمكارم الأخلاق وسائل كثيرة منها :

(أ) الأخذ بأسباب المعرفة التى تدرك بها الفضائل والرذائل الخلقية ونعلم بها آثارها المحمودة والمذمومة، وثمراتها العاجلة والآجلة، فى الدنيا والآخرة.

(ب) ومنها وسائل التربية والتأديب التى يتولاها المربون والمؤدبون العقلاء والحكماء الحازمون.

(جـ) ومنها التدريب العملى والممارسة التطبيقية ولو صاحب ذلك تكلف وجهد نفسى أو جسدى.

(د) ومنها الانغماس فى البيئات الصالحة لاكتساب فضائلها عن طريق المحاكاة والتقليد.

(هـ) ومنها القدوة الحسنة إذا تيسرت ... إلى غير ذلك من وسائل تربوية نافعة يصل إليها الفكر الإنسانى بالتأمل أو يتوصى إليها المربون بالاختيار والتجربة والملاحظة وقياس النتائج. (٧٩)

وقد استوعبت سنة الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله فى شتى المناسبات كثيراً من المقاصد لخلقية رسمت للفرد وللأمة ما يهدى إلى الخير

الأخلاقى. وإن المتتبع للسنة النبوية، يجد أنها تسير فى النصح والإرشاد وفى رسم الطريق المستقيم للحياة الخلقية سيراً محكماً متدرجاً يبدأ بالفرد، ثم بالأسرة وبمن يتصلون بها بروابط الجوار ثم بالمجتمع الكبير المتماسك، وبعد ذلك ما يكفل لهذا المجتمع حياة طيبة، وهو هذه الدعائم الثلاث التى لا بد منها فى كل مجتمع راشد : العلم والمال والعمل أو الإنتاج. وهى دعائم تعتبرها المدنية الحديثة أساساً لحياة الأمة وحفظ كيانها وللمجتمع الصالح.

وبعد هذا تتجه السنة إلى وسائل التنقية والتطهير فتوجه المجتمع إلى ما يكفل لأفراده تربية أخلاقية مستنيرة. (٨٠)

وأخيراً يجيء ذاك العامل الذى لا بد منه في كيان الأمة ودعم وحدتها الأخلاقية وهو القيادة الحكيمة الرشيدة، وإلى جانب هذه القيادة، ذلك العون الهام وهو ما يجب على آفراد الشعب أداؤه من مناصحة ومعاونة وإخلاص فى الحفاظ على أخلاقيات الأمة ومقوماتها وسد المنافذ التى ينفذ منها (الانحراف) ويتسرب منها الهدامون والمعوقون، أى أن الإسلام لا يجعل القيادة على ولى الأمر وحده بل يشرك الأمة وأفرادها مع القادة فى حمل المسئولية، فيحمل كل فرد جانباً من التبعات العامة ويضطلع بنصيب من الأعباء، وبذلك تسير الأمة فى طريق الرشد.

ولا ريب أن (الإرادة الإنسانية) تلعب دوراً كبيراً فى ذلك، ففى أحد سور القرآن الكريم، نجده يمدح صنفاً من الرجال أوتوا من قوة الإرادة وثبات اليقين ومضاء العزيمة ما جعلهم يقفون أمام مغريات الحياة الصارفة عن تذكر خالق الحياة فى صمود عجيب، وعزيمة أعجب، يقول تعالى فى وصف هؤلاء : ﴿رجالٌ لاَّ تُلْهيهمْ تجارَةٌ ولا بيْعٌ عن ذكْر اللَّه وَإقام الصَلاة

وإيتاء الزّكاة يخافُون يَوْمًا تَتقلَّبُ فيه الْقُلُوبُ والأبْصارُ ﴾. (٨١)

ومن هنا كان القول أن جهاد النفس - وهو الجهاد الأكبر- هو الحلبة التى تجلو قوة الإرادة غاية الجلاء وتكسبها الحدة والمضاء. ولقد راعى الإسلام ذلك الجهاد وهو سبيل تنمية قوة الإرادة لدى المسلم، ففى قوله تعالى ﴿ والْكَاظمين الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (٨٢) جذب حان وتوجيه حليم إلى عمل شاق على النفس، إذ فيه نهنهتها والحد من تمردها والوقوف فى سبيل فورانها ساعة الغليان. (٨٣)

٥- التفكير طريق التعلم

تتفق جميع المذاهب الفلسفية فى التربية على أهمية التفكير ووظيفة التعليم فى تنميته، فوظيفة التعليم فى تحليلها النهائى وظيفة فكرية، إذ يوجه الناشئون «بالمعرفة» وعلى أساسها، وتهدف إلى تنمية (عقولهم) وتشكيل سلوكهم بما يكتسبونه من معان ومفاهيم واتجاهات. (٨٤)

والوسيلة المباشرة إلى تحسن طرقنا فى التدريس والتعلم تحسناً مطرداً هى تركيز انتباهنا فى الأحوال التى تستلزم التفكير وتنميه وتمتحنه بالتفكير، فالتفكير هو طريقة التعلم الرشيدة أو طريقة التعلم التى تستخدم العقل أو تكافئه. (٨٥)

والحق أن الإسلام كان حريصاً إلى حد كبير على توفير الظروف والأحوال التى تستلزم التفكير وتنميه وتمتحنه، وفى هذا المجال يذكر العقاد أن «خير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحثه على التفكير ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم مااستطاع ، وكل هذا مكفول للمسلم فى كتابه كما لم يكفل قط فى كتاب من كتب الأديان. فهو يجعل التفكير السليم، والنظر

الصحيح إلى آيات خلقه وسيلة من وسائل الإيمان باللّه». (٨٦)

وجاء مشرعنا لوضع العبادات فيفصلها، ويحدد عدداً من المعاملات فيعالجها بشيء من التفصيل وكثير من الإشارات العمومية، فلقد جاء القرآن فى التشريع بالأصول والاطار العام، وترك التطبيق للأمة على أساس أصوله وفى حيز إطاره، فكان لهذا المنهج أكبر الأثر فى الدعوة إلى التفكير والاجتهاد بالرأى وأعطى للأمة حق التفكير المستقل. (٨٧)

وفى سبيل تنمية التفكير السليم، يلجأ القرآن إلى عدد من الوسائل :

١- منها ضرب الأمثال (٨٨)، على أساس أن ضرب الأمثال إنما هو سبيل تيسير العلم للمتعلمين، بل إن هناك قطاعات فى العلوم كالرياضة والهندسة والكيمياء لا تقوم إلا بضرب الأمثال وغيرها، ومن هنا يأتى قوله تعالى : «ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل». ويوضح القرآن أهداف ضرب الأمثال .. وإثارة الفكر وتنشيط العقل، فى مثل قوله تعالى : ﴿وتلك الأمْثالُ نضْرِبُها للنّاسِ لعلّهُمْ يتفكّرُون﴾ (٨٩)

٢- و «التجريب» من شأنه أن يوقظ الحس، ويدعو العقل إلى المقارنة ظبين المتشابه والمختلف من الأمور واستخلاص النتائج، ويحاول البحث عن أسس (يقينية) يقيم عليها العقل ما يؤمن به من أفكار ومعتقدات ولعل فى الموقف الذى يحكيه القرآن عن إبراهيم عليه السلام أوضح شاهد على ذلك : ﴿وإذْ قال إبْراهيمُ ربِّ أرِني كيْف تُحيي الموتىٰ قال أولمْ تُؤْمن قال بلىٰ ولكن ليطْمئِنَّ قلْبي قال فخُذْ أرْبعةً من الطَّيْرِ فصُرْهُنَّ إليْك ثُمَّ اجْعلْ علىٰ كُلِّ جبلٍ منْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يأتينك سعْيًا واعْلمْ أنَّ اللّه عزِيزٌ حكِيمٌ﴾. (٩٠)

٣- الجدال بالتى هى أحسن : والجدال فى الأصل حوار كلامى يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التى رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التى يوجهها الطـرف الآخر على أدلته أو مـــن خلال الأدلـــة التى تنير له بعض النقاط التى كانت غامضة عليه. (٩١)

وهدف الجدال بالتى هى أحسن ، تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة بتبصير كل منهما صاحبه بالأماكن المظلمة عليه، والتى خفيت عنه حينما أخذ ينظر باحثا عن الحقيقة.

وقد وضع الإسلام عددا من الشروط والقواعد والأصول التى يجب اتباعها حتى يكون الجدال «بالتى هى أحسن» وصيانة له عن أن يتحول إلى مماراة بعيدة عن نشدان الحقيقة أو إلى مشاحنات أنانية ومشاتمات، ومغالطات ونحو ذاك مما لا ينمى التفكير، بل يعيقه.

٤- كراهية التقليد الأعمى : ذلك أن الإسلام يأبى على المرء أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والأجداد، وأنه لينعى على الذين يستمعون الخطاب أن يعفوا أنفسهم من مئونة العقل لأنهم ورثوا من آبائهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها. (٩٢)

ويعرض القرآن الكريم لمواقف متعددة يندد فيها بهؤلاء الذين يسيرون وراء التقليد الأعمى، نسوق منها على سبيل المثال ذلك الحوار الذى دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه : ﴿ **واتْلُ عليْهم نبأ إبْراهيم ، إذْ قَال لأبيه وقومه ما تعْبُدُون ، قالُوا نعْبُدُ أصْناماً فنظلُّ لها عاكفين ، قال هلْ**

يسمعُونكُمْ إذْ تدْعُون، أوْ ينفعُونكُمْ أوْ يضُرُّون ، قالُوا بلْ وجدْنَا آبَاءَنَا كَذلك يفْعلُون﴾ (٩٢)

٥- لا تعطيل للأسباب : ومبدأ إثبات السنن الإلهية، ينفى عن العقلية الإسلامية ما يقال من تعطيلها للأسباب، فكما لا تتعلق المشيئة العليا بنقض سننه تعالى فى خلقه، لا تتعلق بنقض سننه الثابتة التى يجرى عليها نظام الكون، ومنها قانون السببية وقوانين الطبيعة: (٩٤) ﴿لا الشَّمْسُ ينْبغِي لَهَا أن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابقُ النَّهارِ وكُلٌّ فِي فلكٍ يسْبَحُون﴾ (٩٥)

ثالثاً - الحياة التعليمية

وكان من الطبيعى أن يكون للإسلام أثره البارز فى إعادة تشكيل الحياة الثقافية وخاصة من حيث جانبها العلمى، ونقصد بذلك قطاعات ومجالات العلوم المختلفة وميادين المعرفة التى أصبحت تشكل القوام الأساسى لحركة التعليم فى تفاعلها مع الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية، وهذا ما سوف نتبينه من خلال استعراض الدراسات التى ظهرت فى صدر الإسلام وخاصة على أرض الوحى فى شبه الجزيرة.

١- القراءة والكتابة :

يقول عز وجل فى قرآنه الكريم : ﴿يَا أَيُّها الَّذين آمنُوا إذا تداينتُم بدينٍ إلىٰ أجلٍ مُسمًّى فاكْتُبُوهُ﴾ (٩٦) وهى تكمل آية سورة العلق وغيرها من الآيات التى تحض الناس على طلب العلم، وأن مفتاحه تعلم القراءة والكتابة.

وهذه الآية لم تظفر بما هى جديرة به من اهتمام الفقهاء ومفسرى القران مع أنها الأساس الذى قامت عليه ظاهرة من أهم ظواهر المجتمعات

الإسلامية وخصائصا المميزة، [٩٧] ذلك أن هذا الأمر أوجب على المسلمين تعلم الكتابة لأنه ما من إنسان إلا يتبايع أو يتعاقد ويعقد الاتفاقات على طول حياته مهما كان ذلك قليلا، ولا ندرى ما السبب فى أن الفقهاء لم يستنتجوا هذا الحكم فى الآية الكريمة، والأغلب أنهم اعتبروا تعلم الكتابة فرض كفاية فما دام فى الأمة من يقرأ ويكتب، فهو يغنى عن الباقين.

ومن المعروف ومن الثابت وجود عدد من الكتاب مع النبى ﷺ يدونون ما كان يوحى إليه من آيات القرآن الكريم، فكانوا يكتبون على الرقاع والأضلاع وسعف النخل والحجارة والرقاق البيض، تم جمعت هذه الصحف فى عهد أبى بكر، وعنى بعض الصحابة بكتابة حديث الرسول كعبد اللّه ابن عمرو بن العاص، فانه كان يدون ما يسمع من الرسول، قال أبو هريرة : «ما أحد من أصحاب رسول اللّه ﷺ أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبد اللّه ابن عمرو، فانه كان يكتب» وقال عبداللّه بن عمرو : «كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول اللّه ﷺ أريد حفظه» [٩٨]

ويروى ابن النديم أنه كان فى مدينة الحديبية رجل يقال له محمد ابن الحسين جماعة للكتب، له خزانة، لم ير لأحد مثلها كثرة، فلقيه عدة مرات إلى أنس به ووجد عنده مصحفاً بخط خالد بن أبى الهياج صاحب على ، ورأى فيها بخط الحسين والحسن وأمانات وعهود بخط على بن أبى طالب وبخط غيره من كتاب النبى. [٩٩]

ولقد روى عن رسول اللّه ﷺ وعن بعض الصحابة ما يستفاد منه كراهية تدوين الحديث، وقد جمع الخطيب البغدادى هذه الأحاديث والآثار فى القسم الأول من كتابه [١٠٠]، ولكنه فى القسم الثانى، جمع من الأحاديث والآثار ما يكشف عن سبب هذه الكراهة، ثم يعقب عليه بما يغنى عن

الإضافة فى قوله [١٠١] : فقد ثبت أن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول إنما هى لئلا يضاهى بكتاب اللّه غيره أو يشتغل عن القرآن بسواه، ونهي عن الكتب القديمة أن تتخذ، لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفى منها وصار مهيمنا عليها. ونهى عن كتب العلم فى صدر الإسلام لقلة الفقهاء فى ذلك الوقت، والمميزين بين الوحى وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا فى الدين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه، كلام الرحمن».

غير أنه وردت كذلك أحاديث عن رسول اللّه ﷺ وأخبار من صحابته رضى اللّه عنهم، تحض على كتابة الحديث، وقد جمعها الخطيب البغدادى كذلك فى نفس الكتاب. [١٠٢]

وإذا كان الخوف على القرآن هو الباعث على عدم اطلاق العنان لكل من أراد أن يدون الحديث، وهو سبب التردد فى جمع الحديث فى صدر الإسلام على مثل ما جمعت المسانيد والصحاح ، فان الخوف أشد على مبادىء العقيدة من تدوين ماله صلة بالعقيدة، فالمدونات لا تزال لدى العامة إلى اليوم فـوق الاعتراض عليها، فنحن نسمع - إلى اليوم - بعض العامة يقول بحمـاس واقـتناع : إن هـذا الأمر موجود فى الكتب، أى لا محل للنقاش فيه والاعتراض عليه. [١٠٣]

وإذا كان من المشهور أن الرسول ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، وأن فى الإصرار على ذلك تأكيد لجلال نبوته وتفخيما لحركته على أساس أن هذه الأمية ترفع من قدره وأن القول بكتابته تقليل من هذا القدر إلا أن البعض قد شكك فيما هو مشهور هذا. [١٠٤]

فأسعد طلس لا يستبعد أن يكون الرسول قد عرف شيئاً من القراءة والكتابة بعد البعثة أو الهجرة، ويورد شواهد من كتب السيرة على أنه لما عقد مع كبار قريش صلح الحديبية، دعا علياً كما فى صحيح مسلم، وقال اكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم فقال زعيم قريش سهيل بن عمرو بن عبد شمس لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللّهم، فقال : اكتب، فكتبها، ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه. فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول، لما قاتلتك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال محمد : امح محمد رسول اللّه. فقال : لا واللّه لا أمحوك. فأخذ رسول اللّه الكتاب فكتب : ابن عبداللّه. ونقل كذلك عن الذهبى فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة ابن منده بسنده إلى عوف بن عبداللّه بن عتيبة عن أبيه، قال : مامات النبى حتى قرأ وكتب. وعن البخارى قوله فى باب عمرة القضاء : «فأخذ رسول اللّه الكتاب وليس يحسن، فكتب : هذا ماقاضى محمد بن عبداللّه» (١٠٥)

وقد أشار دروزة فى ذلك إلى آية العنكبوت (٤٨) من حيث أنها تضمنت نصاً صريحاً على أن النبى ﷺ لم يكن يكتب أو يقرأ، وأن هذا بالفعل إنما هو قبل البعثة، وأن آية الفرقان(٥) والسابقة، تفيد أن النبى لم يكن يقرأ ولا يكتب، لا كلمة (الأمى) إذ أن هذه الكلمة قد استعملت بمعنى (غيركتابى).

لكنه يؤكد أن هذا كان قد وقع، فقد ظل فى دائرة محدودة لا تتعدى كتابة الاسم أو التعرف عليه وكذلك بعض الجمل، وأن حدوث هذا بعد البعثة لكثرة ما أملى واتصل بالكتاب (١٠٦).

والحق أنها قضية غير هينة، تحتاج إلى مناقشة وبحث ودراسة مستقلة ليس هنا محلها ونرجو أن نقوم بها فى مناسبة أخرى، ومن هنا

فإننا لا نستطيع أن نبت بالرأى الفاصل، ما دمنا نفتقد الآن ما يجعلنا نكذب وجهة النظر هذه أو نصدقها، فالأحوط هو الركون إلى ما هو متواتر مشهور مجمع عليه من السلف الصالح.

٢- الدراسات الدينية :

وهذا اللون من الدراسات كان هو الذى يتصدر ما عداه، وليس ذلك بمستغرب فالدين الجديد يحتاج إلى فهم وتدبر وتطبيق ونشر وتوعية، وهدف مثل هذا يستدعى الاقبال على دراسة القرآن من مختلف الجوانب، وكذلك السنة النبوية الشريفة. ولا بد أن يتسم العمل فى هذا المجال - ربما دون غيره - بالكثير من الابتكار والابداع، لأن أيا من هذه الدراسات إنما تفتح أبوابه لأول مرة، فهو مسبوق.

والشئ الذى نتوقعه أيضا أن يقف بعض أصحاب رسول اللّه ﷺ عليه وسلم على رأس الحركة التعليمية والثقافية وأهمهم عمر بن الخطاب، وعلى ابن أبى طالب، وعبداللّه بن عمرو، وعبداللّه بن مسعود، وابن عباس وزيد ابن ثابت، وعائشة وإن كانت هناك اختلافات فى عددهم، إذ قد ينقص البعض من هولاء ويضعون آخرين.

ونكتفى بإشارات سريعة لبيان منزلة عمر العلمية فى هذا الشأن، فقد ذكر ابن مسعود فى هذا الشأن «كان عمر أعلمنا بكتاب اللّه وأفقهنا فى دين اللّه». وكان إذا اختلف أحد فى قراءة الآيات، قال له : اقرأها كما قرأها عمر، وأطنب فقال (١٠٧) «لو أن علم عمر بن الخطاب فى كفة ميزان ووضع علم الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم»، وقال ابن سيرين : «إذا رأيت الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك فى دينه»، وكل ما فسر به أى القرآن فى معرض الحكم والعظة فهو التفسير الراجح فى وزن العقل والدين وكل ما استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم الواضح الصحيح.

ونموذج آخر تراه فى عبدالله بن عباس، كما تصوره لنا كتب السير والتفسير (١٠٨) فقد كان واسع الاطلاع فى نواح مختلفة يعرف الشعر والأنساب وأيام العرب، ويجتهد فى تعرف ما عند الصحابة من حديث وعلم، يقول «وجدت عامة حديث رسول الله عند الأنصار، فإنى كنت لآتى الرجل فأجده نائماً، لو شئت أن يوقظ لى لأوقظ، فأجلس على بابه تسفى على وجهى الريح حتى يستيقظ متى استيقظ ، وأسأله عما أريد ثم أنصرف». كذلك كان يعلم ما ورد فى القرآن وأسباب نزوله، وحساب الفرائض والمغازى، ويعرف شيئا من الكتب الأخرى كالتوراة والانجيل. وكانت أكثر حياته حياة علمية يتعلم ويعلم لم يشتغل بالامارة إلا قليلا، لما استعمله على على البصرة.

أما على بن أبى طالب، فإنه ينفرد باتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية منذ وجدت فى صدر الإسلام، فهو منشئ هذه الفرق أو قطبها الذى تدور عليه، وندرت فرقة فى الإسلام لم يكن على معلماً لها منذ نشأتها أو لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها. (١٠٩)

أما القضاء والفقه، فالمشهور عنه أنه كان أقضى أهل زمانه وأعلمهم بالفقه والشريعة، وكان عمر بن الخطاب يقول كلما استعظم مسألة من مسائل القضاء العويصة بإحالتها على على لأنه كان فى هذه المسائل يتجاوز التفسير إلى التشريع، كلما وجب الاجتهاد بالرأى الصائب والقياس الصحيح.

وقد حرص الرسول ﷺ - ومن بعده الخلفاء الراشدون - على ألا تقتصر فائدة العلم والتعليم على المدينة وحدها وإنما عمد إلى توزيع العلماء إلى مختلف المدن والأمصار بهدف تعليمها، ومن هنا فقد أرسل إلى اليمن وإلى البحرين وإلى مكة بعد فتحها، وكذلك فعل عمر بن الخطاب عندما

اتسعت الفتوح وكثرت الأمصار، فعن عمر أنه قال، حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام : «لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه، وما كان يفتيهم به. ولقد كلمت أبا بكر رحمة أن يحبسه لحاجة الناس إليه فأبى على ، وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أحبسه، فقلت : واللّه إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه» (١١٠) وكتب عمر إلى أهل الكوفة : «إنى بعثت إليكم بعبد اللّه بن مسعود معلماً ووزيراً وآثرتكم به على نفسى، فخذوا عنه، فقدم الكوفة، ونزلها، وابتنى بها داراً إلى جانب المسجد».

فإذا توقفنا قليلا أمام علوم القرآن، نجد أن المعروف، هو جمع القرآن فى زمن أبى بكر، وقد جاء فى جمعه (١١١) :

حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه قال : «أرسل إلى أبو بكر يوم مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى اللّه عنه . إن عمر أتانى، فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول اللّه ﷺ ؟ قال عمر: هذا واللّه خير. فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح اللّه صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك. وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فواللّه لو كلفونى نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول اللّه ﷺ؟ قال هو اللّه خير. فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح اللّه صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضي اللّه عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى

العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقدْ جاءَكُمْ رسُولٌ مِّنْ أنفُسكُمْ عزيزٌ عَلَيْه ما عنتُّمْ﴾(١١٢) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه اللّه ثم عند عمر حياته ... »

وكان العرب عند ظهور الدعوة ، كلما تليت عليهم سورة أو آية، فهموها وأدركوا مفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولأن أكثرها جاء فى أحوال كانت كالقرائن تسهل فهمها أو إذا أشكل عليهم شيئ منها سألوا النبى، فكان يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، فحفظ الصحابة عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم، وعنهم أخذ من جاء بعدهم من التابعين وتابعى التابعين. (١١٣) ولما صار الإسلام دولة، واحتاجوا إلى الأحكام والقوانين، كان القرآن مصدر استنباطها، فزادت العناية بتفسيره وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين فى استخراج تلك الأحكام، وهم الفقهاء لأول عهد الإسلام، وكانوا يتناقلون التفسير شفاها إلى أواخر القرن الأول.

وبالنسبة للسنة، نجد أن لها قيمة كبرى فى الدين تلى رتبة القرآن، فكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة، أو عامة، فجاءت السنة تبينها أو تقيدها أو تخصصها. كذلك كانت تعرض لرسول اللّه حوادث يقضى فيها وأسئلة يجيب عنها، ومبادلة أخذ وعطاء، وتصرف فى الشئون السلمية والحربية، كل هذه كانت أحيانا ينزل فيها قرآن، وأحيانا لا ينزل، وهذا النوع الثانى كالأول مرجع للمشرعين، فاقتضى ذلك جميعه العناية بالسنة (١١٤).

ولم يدون الحديث فى عهد النبى ﷺ كما دون القرآن، فانا نرى أن الرسول اتخذ كتبة للوحى يكتبون آيات القرآن عند نزولها ولكنه لم يتخذ

كتبة يكتبون ما ينطق به من غير القرآن. وقد عنى كثير من أصحاب النبى برواية الحديث، ولعل الذى كان يحفزهم على هذه العناية حث النبى على ذلك فقد روى عن ابن مسعود أنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «نضر اللّه امرأ أسمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ أحفظ له من سامع» (١١٥)

وكانت الظاهرة السائدة فى عهد الخلفاء الراشدين، الإقلال من الرواية عن النبى والتثبت منها، والتشدد فيها، فقد كان كبار الصحابة يخشون من كثرة الرواية : (١١٦)

١-- لئلا تزل بالمكثرين أقدامهم فيسقطوا فى هوة الخطأ والنسيان.

٢-- لئلا يشتغل الناس برواية الحديث، وينصرفوا عن تلاوة القرآن ولما يتيسر حفظه لكثير منهم.

٣- لئلا يتخذ المنافقون والذين فى قلوبهم مرض من شيوع الحديث ذريعة للتزيد فيه.

ومع ذلك فقد نشأ من عدم تدوين الحديث فى كتاب خاص فى العصور الأولى (وأسباب أخري سياسية) واكتفائهم بالاعتماد على الذاكرة، وصعوبة حصر ما قاله الرسول ﷺ أن استباح قوم لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذبا إليه، فقد ذكر «أن بشير العدوى جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول اللّه ﷺ قال : فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه (لا يصغى إليه) ولا ينظر إليه، فقال يا ابن عباس : مالى لا أراك تسمع لحديثى؟ أحدثك عن رسول اللّه ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة (زمنا) إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول اللّه ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف» (١١٧)

أما بالنسبة للفقه، فقد شهد هذا العصر له طورين :

الطور الأول : طور النشأة ، أو طور التشريع، وكان فى حياة الرسول وانتهى بوفاته سنة ١١ هـ واستمر ٢٢ عاما تقريبا. وفى هذه الفترة كان الفقه يعتمد على الوحى النازل من عند اللّه، فقد نزل القرآن وحفظت السنة، ولم ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى حتى كانت أصول الفقه قد استكملت وأسس التشريع قد تمت. وقد نزل الجانب الأكبر من الأحكام التفصيلية فى السور المدنية وهى تزيد قليلا على ثلث القرآن. وقد نزلت هذه الأحكام منجمة حسب الحاجة التى تدعو إليها دفعا للحرج عن المسلمين وتيسيرا لهم فى التكاليف.

الطور الثانى : طور الشباب، أو طور الاجتهاد، وهذا الطور ابتدأ فى عهد الخلفاء الراشدين حينما اتسعت رقعة البلاد وتم الاحتكاك بحضارات وأعراف مختلفة، وتعددت الأحداث والنوازل، وبرزت مشكلات تحتاج لبيان حكم الشرع فيها، وكان الكثير من هذه الأحداث والمشكلات ليس فيه نص صريح من كتاب أو سنة. وكان أبو بكر إذا أراد معرفة حكم من الأحكام، لجأ إلى القرآن، فإن لم يجد لجأ إلى سنة رسول اللّه، فإن لم يجد جمع من يثق بهم من أهل الرأي واستشارهم، ثم قضى بما يجمعون عليه، وكذلك كان عمر. وكان الصحابة فى بادئ الأمر يتشددون فى الاجتهد بالرأى مخافة القول على اللّه وعلى رسوله بلا علم.

وبعد عمر تفرق الصحابة فى الأمصار، وهاجروا إلى البلدان المختلفة وكثر التحديث عن الرسول، والتعمق فى استنباط الأحكام من القرآن واتسعت أبواب الاجتهاد، وبدأ الفقه يتميز ويتكون [١١٨].

٣- الدراسات الأدبية :

الخطابة: والفرق بين الخطابة فى الجاهلية وفى الإسلام أن الإسلام زادها بالغة وحكمة بما كان من تأثر الخطباء بأسلوب القرآن ولجوئهم إلى اقتباس الآيات القرآنية . فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا وإشارة أو تهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموعة آيات. وكان عدد كبير من الخلفاء والأمراء والقواد من الخطباء. ولا غرابة فى ذلك ، فأهل شبه الجزيرة، أهل خيال وذوى نفوس حساسة. وللبلاغة تأثير شديد فى عواطفهم. وإذا رجعنا إلى حوادث الفتح أو جمع الأحزاب أو إخماد الثورات، رأينا عجباً، وأول ثورة كادت تهب فى الإسلام، ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت الرسول، فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة، فقام أبو بكر خطيباً فقال أيها الناس «إن يكن محمداً قد مات، فإن اللّه حى لم يمت..» وتلا الآية الكريمة، «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم}فهذه الكلمات كانت كافية لإخماد تلك الثورة (١١٩).

الشعر: ولم يتعد الأدب فى هذه العهد دائرة الشعر تقريباً وقد فطن بعض المستشرقين أن الدين قلل من أهمية الشعر حتى لا يطغي على القرآن، وهذا الزعم لا أساس له لأن القرآن ليس من الشعر فى شىء، ولا يصح أن يكون نموذجاً (١٢٠) له. ولو أن القرآن قد غض من شأن بعض الشعراء فلأنهم كانوا من أعداء الإصلاح ومن دعاة الفوضى، قال تعالى : ﴿ والشُّعراءُ يتبعُهُمُ الغاوُون (٢٢٤) ألم تر أنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يهيمُون (٢٢٥) وأنَّهُمْ يَقُولُون ما لا يفعلُون ﴾(١٢١)

على أن الشعر قد أعلى من قدر هؤلاء الذين قاموا بنصرة المبادىء

القديمة ودافعوا عنها فأحلهم المحل اللائق بهم من الشرف، كما شجعهم الرسول وأجزل لهم العطايا، واعتبر هذا نوعاً من الجهاد فى سبيل اللّه والانتصار للحق. وأحسن مثال على ذلك الشاعر المخضرم : حسان ابن ثابت الذى قربه الرسول إليه.

القصص : وهذا اللون قد استحدث فى صدر الإسلام، وقد روى عن ابن الشهاب أن «أول من قص فى مسجد رسول اللّه ﷺ تميم الدارى، استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر، فاستأذن تميم عثمان ابن عفان، فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة فكان تميم يفعل داك [١٢٢]» . وفى رواية أخرى عن الحسن أنه سئل : متى أحدث القصص؟ قال : فى خلافة عثمان. فسئل : من أول من قص ؟ قال : تميم الدارى».

وصورة هذا القصص، أن يجلس القاص فى مسجد وحوله الناس فيذكرهم باللّه ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصاً عن الأمم الأخرى وأساطير ونحو ذلك، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب.

٥- الدراسات التاريخية :

ويكاد يجمع المحققون على أن جمع أحاديث السيرة والمغازى وتبويبها هو بداية التأليف التاريخى فى العصر الإسلامى، وأن السيرة والمغازى وتبويبها هو بداية التأريخ الإسلامى، وأجمعوا على أن (ابن إسحاق) هو أول من مهد عن السيرة بأخبار ما قبل الإسلام، فيعد كتابه أول تاريخ عربى عام، وقالوا أن (سيرة ابن هشام) تعد مختصرا لمؤلف ابن اسحاق [١٢٣].

وقد دخل التاريخ إلى مجال الثقافة العربية الإسلامية فى ظل التفسير والحديث، فالذين تحملوا مسئولية التفسير وجمع الحديث وتبويبه هم الذين رسموا معالم التاريخ بما جمعوه من نصوص ما زالت تحت مجهر التحقق من بداية تدوينها إلى اليوم. وكان عبيد بن شريه أول من أكسب ما يرويه من قصص ثوب التاريخ. ثم جاء وهب بن منبه فتصدى للمغازى وهى الفتوح الإسلامية ووضع أساسها وعنه روى المؤرخون المتقدمون.

وقد روى أن عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هـ أقدم من ألف فى السيرة النبوية وكذلك أبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٥ هـ، فلقد جمع له تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة كتابه فى سيرة الرسول، وجمع كل من ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ وموسى بن عقبة سنة ١٣١ هـ كتابا فى المغازى . (١٢٤)

رابعاً - المعاهد التربوية

وشهدت أرض الجزيرة العربية قيام عدد من المعاهد التربوية فى مقدمتها المساجد التى كانت هى «وسائط التربية الإسلامية» إلى الانسان المسلم على هذه الأرض فيها يتلقى تعاليم الإسلام وفيها يتدرب على السلوك المستقيم الذى رسم منهجه القرآن الكريم.

١- المساجد :

والمسجد اسم مكان للسجود الذى هو ركن عظيم وأساس من أركان الصلاة، تلك الصلاة التى هى العمود الفقرى للإسلام وفى اختيار السجود عن بقية الأركان ليشتق منه اسم مكان للمكان المعد للصلاة دلالة واضحة على أهمية السجدة وعظمتها، وهى كذلك لأن السجود يظهر حكمة العبادة لما فيه من وضع الجبهة - وهى أشرف الأعضاء - على الأرض رمزاً

للخضوع لله الخالق، وإخراجا للكبر عن القلوب، ولذلك ورد فى صحيح مسلم وسنن أبى داود والنسائى، أن النبى ﷺ قال : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». فإذن أصل اشتقاقه يدل على أهمية المسجد، فكما كان السجود رمزا للاستسلام الكامل لله، كان المسجد شعاراً للموحدين المخلصين لله تعالى . (١٢٥)

ولليهود والنصارى تسميات لأماكن عبادتهم ذكر منها القرآن الكريم (الصوامع) و (البيع) و (الصلوات) وسلكها مع المساجد فى سلك واحد ﴿ ولَولا دفعُ اللّه النّاس بعْضهُم ببَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صوامِعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومَساجِدُ يُذْكرُ فيها اسمُ اللّه كثيراً ﴾. وقد عمم القرآن استخدام لفظ (المسجد) فأطلقه على أماكن العبادة لدى اليهود والنصارى : ﴿ قال الّذين غلبُوا علىٰ أمْرِهم لنتّخذنّ عليهم مّسْجِدا ﴾، فأطلق لفظ مسجد على ما أقام أولو الأمر والذين عاصروا معجزة أهل الكهف من بناء. وفى حديث الرسول ﷺ فى شأن اليهود والنصارى وتحذيرا من صنيعهم : «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولا تكاد توجد جماعة إنسانية لها نصيب ملحوظ فى الحضارة، إلا وفى نسيج حضارتها ما يقابل (المسجد)، أو البيعة عند النصارى، أو الصلوات عن اليهود كما هو الحال عند قدماء المصريين والهنود والفرس والإغريق .. ويطلق عادة على هذه الأماكن لفظ (معبد) أو ما يشبه! وبغض النظر عن صحة العقيدة أو فسادها لدى هذه الجماعة أو تلك. فهذه المعابد تحتل مكاناً له دلالته فى سجل الحضارة الإنسانية وتاريخها الطويل، وهى تعبر فى قوة وعمق عن تجربة مستمرة ومحاولة متصلة دائبة، لم تنقطع من جانب الإنسان بهدف التعرف والاتصال بتلك القوة التى أحسها - رغم خفائها - تغمر عقله ووجدانه وهو مبعثر فى الطريق قبل أن تأخذ هداية

السماء بيده وتهديه إلى خالقه (١٢٦).

إن اللحظة التى بنى فيها الإنسان لنفسه كهفا يأوى إليه، يبنى فيها كذلك لإلهه أو آلهته «معبداً» يفزع إليه، مدفوعاً بإحساس غامر بالحاجة إلى الاتصال به أو بها، وإلى التعبير عن شعوره تجاهه أو تجاهها. وقد وجه الإنسان القديم من طاقته وإمكاناته المادية وإبداعه الفنى لهذه (المعابد) مالم يوجه بعضه إلى مسكنه الذى يعيش فيه. المعبد إذن عنصر أصيل فى حضارة الإنسان عبر التاريخ.

وقد حدد سبحانه وتعالى مكانة المسجد وأهميته فى بناء شخصية المسلم فى الآيات القرآنية التالية :

﴿ إنّما يعمُرُ مساجدَ اللّه منْ آمن باللّه واليْوْم الآخرِ وأقام الصّلاة وآتى الزّكاةَ ولَمْ يخش إلا الله فعسىٰ أُولئك أن يكُونُوا من الْمُهْتدين ﴾(١٢٧)

- ﴿ وأنّ المساجد للّه فلا تدْعُوا معَ اللّه أحداً ﴾(١٢٨).

- ﴿ قُلْ أمر ربّي بالْقسط وأقيمُوا وُجُوهكُمْ عند كُلّ مسْجدٍ وادْعُوهُ مُخْلصين لهُ الدين كما بدأكُمْ تعُودُون ﴾ (١٢٩)

- ﴿ يا بني آدم خُذُوا زينتكُم عند كُلّ مسْجدٍ وكُلُوا واشربُوا ولا تُسْرفُوا إنّهُ لا يُحبُّ المُسرفين ﴾(١٣٠)

أما الأحاديث (النبوية) فمنها :

- عن عثمان رضى اللّه عنه (أن البنى ﷺ قال : من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه اللّه ، بنى اللّه له بيتاً فى الجنة).

- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : (من تطهر فى بيته مشى إلى بيوت اللّه ليقضى فريضة من فرائض اللّه كانت خطواته

إحداها تحط خطيئته، والأخرى ترفع درجته).

- عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : (المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة).

- عن عائشة رضى الله عنها (أن النبى ﷺ أمر ببناء المساجد فى الدور وأمر أن تنظف وتطيب).

وفيما يلى عرض للدور التربوى الذى قامت به المساجد الأولى التى بنيت على أرض شبه الجزيرة.

أ- المسجد الحرام : وقد حدثنا القرآن عن البيت العتيق وأخبرنا أنه أول بيت وضع للناس «إن أول بيت وضع للناس للذى بمكة مباركا وهدى للعالمين». وحين حدثنا عن هذا البيت جعله مرة «البيت» معرفا بأل التعريف **«وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا»**. ومرة بالإضافة إليه سبحانه **«وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع والسجود»**. ويضيف ماقام به إبراهيم وإسماعيل فيقول : **«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل»**. يرفع القواعد وكأنما كانت موجودة من قبل، أرشد الله إبراهيم عليه السلام إلى مكانها كما يشير إلى ذلك قوله الله تعالى : **«وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت»**.

توحى إلينا الآيات الكريمة إيماء خفياً أن هذا البيت قديم موغل فى القدم وإن لم تسعفنا مصادر التاريخ المسجل بأوليته الأولى.[١٣١] وهذا هو المتسق مع قوله تعالى «وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون». وإذا كان التدين - فى صورة ما - ظاهرة عامة لازمت الإنسان فى كل فترات تاريخه، قوى هذا الفهم وتأكد.

ويرى البعض أنه أقدم بيت على وجه الأرض لم يسبقه بيت للعبادة ولا للسكنى وأن إبراهيم عليه السلام كان مجددا لبنائه، ويستدل بوضوح على وجود البيت قبل مجيء إبراهيم من الآية الكريمة : «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم .. ربنا ليقيموا الصلاة». وبهذا الصدد يقول أحمد محمد جمال : (١٣٢).

«فالثابت أن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم على نحو ما .. وان إبراهيم عليه السلام كان مجدداً لبنائه ومعيداً لكيانه، وباعثاً للطواف حوله والصلاة فيه». ولم يكن ممكنا بطبيعة الحال أن يمارس المسجد الحرام، دوره التعليمى طوال عهد الرسول حيث كان واقعاً تحت نفوذ المشركين معظم هذا العهد. قال أبو الوليد الأزرقى وأبو الحسن الماوردى : «أما المسجد الحرام، فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد الرسول ﷺ وأبى بكر جدر تحيط به، وكانت الدور تحدق به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فلما استخلف عمر، وكثر الناس، وضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، قال عمر : ان الكعبة بيت اللّه، ولا بد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم». فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها، واتخذ له جدارا ثم لما استخلف عثمان، اشترى دورا أخر ووسعه أيضاً، وبنى المسجد والأروقة . (١٣٣)

وبعد فتح مكة، خلف الرسول فيها معاذا يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن، وكان ذلك بطبيعة الحال فى أحيان كثيرة بالمسجد الحرام. ويحدثنا ابن هشام عن معاذ فيقول إن النبى ﷺ اختاره يوم الفتح للقضاء فى مكة عندما ولى إمارتها عتاباً بن أسيد، ونحن إذ لا نجهل كفاية معاذ بن جبل وميزته العلمية وإلمامه الواسع، نستطيع أن نتبين نوعاً آخر

من أنواع الاستفادة التى اعتمدتها مكة يومها فى شأنها التعليمى. وإذا كانت كتب التاريخ تجمع على ندب معاذ بن جبل لتعليم اليمن، فليس فى هذا ما يتنافى مع إقامته فى مكة عقب الفتح مباشرة لينفع المكيين فى المسجد الحرام قبل ندبه إلى اليمن. ويضيف (الطبرى) أن رسول اللّه ﷺ أشرك معه هبيرة بن سهل الثقفى ويقول ابن حجر فى الاصابة أن هبيرة تولى مكة عام الفتح، ولما رجع النبى من الطائف عاد فولاها عتاب (١٣٤) واضعين فى الاعتبار أن الحكام والولاة فى هذا العهد كانوا يقومون بالواجب التعليمى الذى كانت تحتمه الدعوة فى بدء نشأتها على أقل تقدير.

ب - مسجد قباء : لما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، نزل بقباء، وكانت فى ذاك الوقت قرية قريبة من المدينة تعتبر ضاحية من ضواحيها والآن اتصلت بها ونزل بنى عمرو بن عوف، فجلس عند كلثوم بن الهدم، وقام أبو بكر يتلقى الناس الذين قدموا لرؤية رسول اللّه.

ثم أسس ﷺ فى هذا المكان أول مسجد بنى فى الإسلام، وهو مسجد (قباء) الذى يقول فيه سبحانه وتعالى ﴿لَمسجدٌ أُسّس على التّقوى من أوّل يوم أحقُّ أن تقُوم فيه فيه رجالٌ يُحبُّون أن يتطهّرُوا واللّهُ يُحبّ المُطّهّرين﴾(١٣٥)، وذلك ليكون مجمعا يجتمع فيه المسلمون بقباء يؤدون صلواتهم، ويقرأون القرآن ويذكرون اللّه تبارك وتعالى، ويتشاورون فى أمور دينهم ودنياهم، وليكون مظهراً لوحدتهم وألفهم وأخوتهم وليكون (منارة) يدعون منها إلي صلواتهم وبيتا من بيوت اللّه التى أشاد بها اللّه فى قوله سبحانه : «فى بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدوة والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه واقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار» . وبذلك وضعت أول لبنة فى بناء

صرح الإسلام . (١٣٧)

وهذا المسجد قال فيه الحافظ انه أول مسجد ﷺ فيه عليه السلام بأصحابه جماعة ظاهراً، وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة. وروى الترمذى عن أسيد بن ظهير عن النبى ﷺ قال : «الصلاة فى مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين .. لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل». وأخرج الشيخان عن ابن عمر أنه قال : «كان ﷺ يزور قباء أو يأتى قباء راكباً أو ماشياً». (١٣٨)

وخرج النبى ﷺ من قباء، بعد أن أقام فيها ما أقام، حين ارتفع النهار من صباح يوم الجمعة، فأدركته الصلاة فى أرض بنى سالم بن عوف، فصلى بمن كان معه من المسلمين فى مسجدهم، وكان يطلق عليه اسم (غبيب) ثم سمى بعد ذلك مسجد الجمعة، وكان - كما تذكر كتب السير - مبنياً بحجارة قدر نصف القامة على يمين السالك إلى مسجد قباء.

وبعد أن انتهت الصلاة، ركب ﷺ راحلته، وأردف خلفه أبا بكر، ثم اتجه إلى المدينة .. فكان كلما مر على دار من دور الأنصار دعوه إلى المقام عندهم وقالوا : «يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة»، ثم يحاولون وقف ناقته، فيقول : «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة». (١٣٩)

جـ - المسجد النبوى : ونزل النبى بالمدينة فى دار السيد الصحابى الجليل أبى أيوب الأنصارى من بنى النجار أخوال جد رسول الله ﷺ وهو عبد المطلب، فقد كانت أمه السيدة سلمى بنت عمرو من بنى النجار. وما أن استراح النبى قليلا من سفر الهجرة الطويل وعنائها حتى كان أول ما فكر فيه هو بناء المسجد النبوى، وكان فى المبرك الذى بركت فيه ناقته

(القصواء) وكان مربداً لغلامين يتمين بالمدينة، فساوم النبى أولياءهما عليه وقد رغبوا - عن صدق - أن يكون مكان المسجد صدقة لوجه الله، ولكن النبى أبى إلا أن يكون بالثمن (١٤٠).

وشرع المسلمون فى إزالة الأشجار والمقابر، والأنقاض بالمكان وسووا الأرض وأزالوا الخرب وشرعوا فى البناء، والنبى ﷺ فى مقدمتهم يحمل اللبن. والحجارة، وينقل التراب، والنبى يقول وهم يرددون وراءه :

اللّهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

والبعض يقول :

هذى الجمال لا جمال خيبر هذى أبر - ربنا - وأطهر

وكان على بن أبى طالب يقول :

لا يستوى من يعمر المساجد يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائداً

وكان بعضهم يقول :

لئن قعدنا والنبى يعمل ذاك إذن للعمل المضلل

والمستقرئ للنشاط الذى مورس فى المسجد النبوى وخاصة فى عهد الرسول الكريم يلمس بما لا يدع مجالا للشك مدى ما جسده المسجد من (تربوية). إننا نؤكد هنا دون خشية مبالغة أنه المثال الفريد فى تاريخ التربية فى العالم أجمع الذى تجسدت فيه (التربية) بالمعنى الشمولى الذى نتحدث عنه. فما من مؤسسة تربوية شهدها العالم، إلا وتناولت التربية من جانب أو أكثر من جوانبها، لكن المسجد فى حياة الرسول ﷺ ، قام بأكبر عدد ممكن من الوظائف (التربوية) وهذا يتضح لنا مما يأتى :

(أ) لقد اختار النبى ﷺ المسجد ليكون مركزاً للتعليم والتوجيه والتفقه فى الدين، بتبليغ الوحى وتوضيحه فى خطب الجمعة ومجالس العلم، وفى كل فرصة تسنح له، والمساجد أنسب الأماكن لهذه المهمة العظيمة خصوصاً عند اجتماع المسلمين للصلاة فيه جماعة، كل يوم خمس مرات يجتمع منهم عدد كبير يصلح لتعليمه وتوجيهه، وعدد أكبر يوم الجمعة تلقى عليهم خطبه الجامعة وإرشادته المنوعة، والتعليم ذكر لله وتذكير به وبدينه وشرعه. وكان ﷺ يعقد مجالس العلم فى مسجده، ويتزاحم المسلمون عليها ويتنافسون فى القرب منه لتمام الاستفادة منه، عن الحرث بن عوف أن رسول اللّه بينما هو جالس فى المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول اللّه وذهب واحد، فوقفا على رسول اللّه ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا.

فلما فرغ رسول اللّه ﷺ قال : «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فاوى إلى اللّه فآجره الله، وأما الآخر، فاستحيا فاستحيا اللّه منه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض اللّه عنه» (١٤٢).

وقد حث النبى ﷺ على حضور مجالس العلم فى المسجد فقال : «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب اللّه ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم اللّه فيمن عنده» (١٤٣). وقال «أفلا يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيعلم أو فيقرأ ايتين من كتاب اللّه عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الابل» (١٤٤). وروى ابن ماجه عن أبى هريرة، قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «من جاء مسجدى هذا لم يأته

إلا لخير يتعلمه أو يعلمه ، فهو بمـــــنزلة المجـــاهد فى سبـــيل اللّه ومن جـــاء لغير ذلك : فهـــو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» (١٤٥)

ولقد كان جلوسه عليه السلام عند موضع الاسطوانة المسماة اليوم اسطوانة (التوبة) (١٤٦)، وهى كائنة فى الروضة الشريفة، وهى اليوم الاسطوانة الرابعة فيما بين المنبر النبوى وبين الحجرة المشرفة، فكان ﷺ إذا صلى الصبح، انصرف إلى ذلك الموضع فلحق أصحابه حلقا بعضهم دون بعض أى بعضها أضيق من بعض، فيتلو عليهم ما أنزل من القرآن من ليلته، ويحدثهم إلى طلوع الشمس ويسألونه عما يعرض لهم، ففى صحيح البخارى من حديث أبى موسى الأشعرى : «جاء رجل وهو قائم ، فقال : يا رسول اللّه : ما القتال فى سبيل اللّه ؟ فرفع رأسه إليه وقال : من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا ، فهو فى سبيل اللّه».

وبنى الصحابة لرسول اللّه مصطبة من طين يجلس عليها ليعرفه الغريب إذا دخل المسجد. وكان تعليمه الناس على طريقتين : أولاهما وهى الاكثر أن يملى على حاضرى مجلسه من القرآن والتربية الخلقية والمواعظ وأخبار الأنبياء السابقين - والثانية : جوابه عن أسئلة السائلين المسترشدين وما يدور بينه وبين أصحابه من أطراف الحديث. (١٤٧)

٢- وكان النبى ﷺ يسمح بأن تقام الأعمال الرياضية فى المسجد، بل وأكثر من ذلك كان ينظر إلى لعب الأحباش حينما يلعبون فى المسجد وسمح للسيدة عائشة أن تنظر إلى هذه الأعمال الرياضية. روى عن عائشة رضى اللّه عنها «دعانى رسول اللّه والحبشة يلعبون بحرابهم فى المسجد فقال : يا حميراء .. أتحبين أن تنظرى إليهم ؟ فقلت : نعم فأقامنى وراءه... فنظرت من فوق منكبيه .. قالت عائشة : «قال رسول اللّه ﷺ لتعلم اليهود

أن فى ديننا فسحة » (١٤٨).

فيؤخذ من هذا الحديث الشريف أن الرسول كان يشرف على المباراة والاستعراض الرياضى الذى أقيم فى المسجد النبوى، فهذا إن دل على شئ فإنما يدل عى تشجيعه ﷺ للألعاب الرياضية وتحبيذه لألعاب القوى والبطولة التى تقوي الجيل المسلم وتعوده على الشجاعة والفروسية والثقة بالنفس.

٣- وكان النبى ﷺ يستقبل الوفود فى المسجد التى تأتى لأغراض مختلفة كطلب علم أو إعلان سلام أو عقد معاهدة أو طلب معونة أو غير ذاك. وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية مفتوحا ومهيأ لجميع الوافدين (١٤٩). استقبل فيه النبى ﷺ وفد نصارى نجران ، وكان فيه ستون رجلا منهم أربعة عشر من أشرافهم، ثلاثة منهم يرجع إليهم أمرهم، وهم العاقب عبد المسيح، وهو أميرهم، والسيد الأبهم وهو ملجأهم وغياثهم ومطعمهم فى الشدة وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل وهو أسقفهم وعالمهم. دخلوا عليه أثر صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات، جبب وأردية، فقال أصحاب النبى : ما رأينا وفدا مثلهم جمالا وجلالة. وحانت صلاتهم، فقاموا فصلوا فى مسجد النبى إلى الشرق، فقال ﷺ : دعوهم ثم أقاموا فى المدينة أياما يناظرونه فى عيسى وهو يرد عليهم.

وفى هذه القصة إشارة إلى سماحة الإسلام وعدم تعصبه حيث أذن لهم أن يصلوا صلاتهم الخاصة على ما فيها من عقيدة تتنافى مع التوحيد الذى تنبعث الدعوة إليه من مسجد الرسول الذى يصلون فيه.

٤-كذلك كان المسجد النبوى الشريف يقوم مقام المجالس الشورية الآن كمجالس النواب ومجالس الشيوخ على اختلاف أسمائها اليوم، على

فرق كبير ما بين الشورى فى حقيقتها وجوهرها فى عهد الرسول وبين ما هى عليه اليوم. وكثيرا ما عقدت هذه المجالس الشورية فى المسجد وذلك كما حدث قبيل غزوة أحد وما حدث قبيل غزوة الأحزاب وغيرها من الغزوات والسرايا التى كان يرسلها الرسول، وكان من ورائها الغنم والخير للدعوة الإسلامية والمسلمين.(١٥٠)

٥- وقام مسجد الرسول بوظيفة الرعاية الاجتماعية والصحية، إذ اتخذه ﷺ مكانا للاعانة والرعاية الاجتماعية حيث كان يوزع الأموال على الفقراء والمحتاجين. ويروى البخارى عن أنس بن مالك أن مالا أتى الرسول من البحرين فقال، انثروه فى المسجد، وبعد الصلاة جلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه، وقصة العباس رضى اللّه عنه مشهورة. (١٥١)

وأمر رسول اللّه لسعد بن معاذ بعد أن أصيب من رجل يقال له حبان ابن العرفة فى الأكحل أمر به أن يبقى فى خيمة لامرأة يقال لها رفيدة بمسجده ﷺ كانت تداوى الجرحى، وقال، اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب.

٦- كما كان المسجد النبوى محكمة أصدرت على بسطه وأعمدته وأساطينه أعدل الأحكام وفيها سطرت أروع صفحات القضاء البشرى، فقد روى البخارى فى صحيحه أن كعب بن مالك تقاضى ابن أبى حدرد دينا كان له عليه فى المسجد، فارتفعت أصواتهما.. فنادى رسول اللّه . يا كعب .. ضع عن دينك هذا، قال، لقد فعلت يا رسول اللّه. قال : قم فاقضه.

كما كان المسجد يربط بسواريه الأسرى، فقد روى الإمام البخارى ومسلم أن النبى ﷺ بعث خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية فى سوارى المسجد فاغتسل ثم دخل فقال

أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه. (١٥٢)

٧- كذلك كان المسجد النبوى يقوم مقام وسائل الإعلام عن الإسلام والمنافحة عنه فى عصورنا هذه، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن حسان بن ثابت صاحب رسول اللّه وشاعره كان ينشد الشعر فى المسجد النبوى فى إظهار محاسن الإسلام والمنافحة عن الرسول والمسلمين، وإظهار فضائلهم ومحاسنهم. وفى صحيح البخارى أن البنى ﷺ قال : «أجب عن رسول اللّه، اللّهم أيده بروح القدس». ولما زجره عمر بن الخطاب عن إنشاد الشعر فى المسجد النبوى، قال له : «لقد كنت أنشد به، وفيه من هو خير منك». يريد النبى ﷺ . وقد أشهد حسان أبا هريرة على ذلك فشهد له بالفعل (١٣٥) .

٨- وكان وسيلة لتربية المسلمين على النظافة، ففى الحديث ، أن امرأة سوداء كانت تلتقط القمامة من المسجد ففقدها الرسول، فسأل عنها بعد أيام فقيل إنها ماتت فقال : فهلا آذنتمونى، فأتى قبرها فصلى عليها وجاء فى رواية الطبرانى أن النبى قال : «إنى رأيتها فى الجنة تلتقط القذى من المسجد». (١٥٤)

* * *

وأشهر من جلس للتعليم فى المسجد النبوى، زيد بن ثابت وعبد اللّه ابن عمر بن الخطاب ولكن كلاهما يختلف فى منحاه العلمى عن الآخر فزيد ابن ثابت أنصارى صحب النبى ﷺ منذ صباه، وتعلم السريانية والعبرية، ولكن لا ندرى إلى أى حد كان مثقفاً بثقافتهما، فهم يحدثوننا أنه تعلم اليهودية فى نصف شهر، والسريانية فى سبعة عشر يوماً، وهى أيام قليلة لا تكفى لخدمة لغة والقدرة على تفهم آدابها، فهل استمر يتعلم حتى نال قسطاً

من آداب اللغتين؟ ذلك ما لاندرى. كان ضليعاً فى فهم تعاليم الإسلام، وله القدرة الفائقة على استخراج الأحكام من الكتاب والسنة. ومن الرأى - إذا لم يكن كتاب ولا سنة - حتى قال سليمان بن يسار : «ماكان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً فى القضاء والفتوى والفرائض والقراءة». وقال القاسم : «كان عمر يستخلف زيد بن ثابت فى كل سفر يسافره، وكان يفرق الناس فى البلدان... ويطلب الرجال المسمون (الذبهون) فيقال له : زيد بن ثابت، فيقول : لم يسقط على مكان زيد ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده فيما يحدث لهم ومالا يحدث لهم وما لايجدون عند غيره». وقال قبيصة : «كان زيد بن ثابت مترئساً بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض فى عهد عمر وعثمان وعلى فى مقامه بالمدينة».

ويروى أن حسان بن ثابت رثاه فقال

فمن للقوافى بعد حسان وابنه ومن للمعانى بعد زيد بن ثابت[١٥٥]

وهذه (المعانى) التى وردت فى هذا البيت هى الميزة التى امتاز بها عن عبدالله بن عمر، فقد كان عبدالله عالماً فقط، يجمع الأحاديث ويرويها ويكتبها ويتحرج من الفتوى وابداء الرأى وهما نزعتان ظلتا تسيران جنباً إلى جنب عهداً طويلا.

٢ - معاهد ومؤسسات أخرى :

أ - الكتاب : فى العربية، لفظة (الكتاب) يراد بها فى عرف هذا اليوم، المدرسة التى يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة ومبادىء المعرفة. وهى الألفاظ العربية المستعملة فى العهود الأولى من الإسلام [١٥٦] . وقد ورد أن الرسول أمر عبدالله واسمه الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية، بأن يعلم فى كتاب المدينة، كما ورد أن جفينة وهو من نصارى الحيرة جاء المدينة ،

فصار يعلم الكتابة، وورد فى رواية أن على بن أبى طالب اختلف إلى الكتاب، فتعلم الكتابة وله ذؤابة وهو ابن أربع عشرة سنة. وورد أن رجلا نزل بوادى القرى، وعلم الخط بها (١٥٧).

وقد كتب جولدزيهر مقالا فى دائرة معارف الأديان والأخلاق عن التعليم الأولى عند المسلمين، وقد حاول فيه أن يثبت أن نشأة الكتاب ترجع إلى صدر الإسلام فقد أسند هذا الرأى إلى الأدلة الآتية (١٥٨).

- أرسلت أم سلمة إحدى زوجات الرسول مرة إلى معلم كتاب تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدوها فى ندف الصوف وغزله.

- كان عمر بن ميمون يحفظ الصيغة التى تقى الإنسان شر العين، وقد أسندها إلى سعد بن أبى وقاص الذى كان يعلمها أولاده ويكتبها قائلا : إنى أفعل ذلك كما يفعل المدرس مع تلاميذه.

- مر ابن عمر وأبو أسيد فى مناسبة ما بكتاب، فلفتا إليهما أنظار التلاميذ.

- كان اللوح المخصص للكتابة موجوداً فى وقت مبكر جداً. فلقد روى عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات فى الحكمة ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة.

بيد أن أحمد شلبى حاول أن يفرق بين الكتاب، لتعليم القراءة والكتابة، و (كتاب) لتعليم القران الكريم ومبادىء الدين الإسلامى، وأن الأول كان موجوداً قبل ظهور الإسلام، أما الثانى، فلم ينشأ فى صدر الإسلام، بل فى وقت متأخر عن ذاك (١٥٩). وفى رأينا أن المهم أن (الكتاب) كان قائما فى سنوات الإسلام الأولى التى نؤرخ لها هنا فى شبه الجزيرة. أما هذه المحاولة فى التفرقة بين نوعين من (الكتاتيب) فلا نرى لها داعياً. وإنما

المسألة هى تغير فى (وظيفة) الكتاب جعلته قبل الإسلام يقتصر على القراءة والكتابة وسيلة لقراءة القرآن الكريم وحفظه، ومن خلال هذا وذاك يتعلم التلميذ مبادئ الدين الإسلامى.

ب - دار الأرقم : جرى التعليم الإسلامى بالمنزل فى عهد الإسلام المبكر ، وقبل نشأة المساجد، فلقد اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم فى مكة مركزاً يلتقى فيه بأصحابه ومن تبعه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الحكيم، كما كان الرسول يستقبل فى هذا المنزل من جنحوا إلى الإسلام ومالوا إليه ليغمر الرسول قلوبهم بارشاده وتعليمه فيعتنقوا الإسلام وينضموا إلى جماعة المسلمين (١٦٠).

وبالاضافة إلى دار الأرقم كان الرسول قبل إنشاء المساجد أيضاً يجلس بمنزله بمكة، ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم، وقد ظلوا كذلك إلى أن نزلت بالمدينة الآية الكريمة يا ﴿ **أيُّها الّذين آمنُوا لا تدخُلُوا بُيُوت النَّبيِّ إلاّ أن يُؤذن لكُمْ إلىٰ طعامٍ غير ناظرين إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُم فادخُلُوا فإذا طعمتُم فانتشرُوا ولا مُستئنسين لحديث إنّ ذلكُمْ كان يُؤْذي النّبيَ فيستحيي منكُم واللّهُ لا يستحْيي من الْحقّ** ﴾ (١٦١).

وكان نزولها بعد إنشاء المساجد، وقد خفف الله بها عن الرسول ما كان يعانى من تدفق الجموع على بيته تدفقاً يكاد يكون متصلا مما لا يدع له وقتاً للراحة والاستجمام.

جـ - دار القراء : وأول من يلفت نظرنا إلى هذا الموضوع هو أحمد أمين (١٦٢) عندما أشار إلى أنه لم ير ما يدل على أن المسلمين أنشأوا فى هذا العصر مدارس خاصة للعلم إلا ما نقل المقريزى عن الواقدى أن عبدالله

ابن مكتوم قدم مهاجراً إلى المدينة مع مصعب بن عمير، وقيل قدم بعد بدر بقليل، فنزل دار القراء»، وأضاف إلى ذلك «.. ولم نعلم كثيراً عن دار القراء هذه وهل خصصت للمدارسة أم لا ؟».

وقد التقط أمين مدنى الإشارة وحققها تحقيقاً مستفيضاً دقيقاً، نحاول إيجازه في السطور التالية (١٦٣) :

فخبر الواقدى هذا ذكره ابن عبد البرى (الاستيعاب)، و الخبر الذى جاء فى الاستيعاب «أن عبد اللّه بن أم مكتوم» عندما قدم مهاجراً إلى المدينة مع مصعب بن عمير بعد يوم بدر بقليل نزل دار القراء».

و (دار القراء)، ذكرها (المسعودى) فى كتاب له ثلاث مرات دون أن يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى سبب هذه التسمية سوى أنها دار عبداللّه بن مسعود.

ولعل الذى دعا البعض إلى تصور نص الواقدى وابن عبد البر يعنى أن دار القراء هذه أنشئت فى صدر الإسلام لحفظ القرآن وتفسيره والتفقه فى أحكامه يؤمها القراء وطلبة التفسير والحديث، هو أن عبداللّه بن مسعود هو وحده مدرسة كما تؤكد الصفات التى وصف بها.

بيد أن (مدنى) يؤكد أن الشواهد التى قيلت لا تثبت أن دار القراء هى مدرسة لا فى عهد النبى وصحابته ولا فى عهد التابعين (١٦٤). فكل من تحدث عن قراءة القرآن وتعليمه وجمعه ونسخه فى حياة عبداللّه بن مسعود لم يذكر أن داره كانت مدرسة للقرآن دون سواها، أو كانت تسمى (دار القراء) - جمع قارئ - أو (دار القرآن). وعندما ذكر ابن سعد فى طبقاته وصية ابن مسعود لم يذكر دارا له بهذا الاسم، وابن سعد هو تلميذ الواقدى، فلو أن الواقدى قصد أن الدار التى نزلها عبداللّه بن أم مكتوم هى

مدرسة لأشار إليها. ولو كانت هناك دار لدراسة القرآن من قبل بدر لذكرت فيما ذكر عن أسباب جمع القرآن ونسخه – وعبدالله بن مسعود رحل إلى (حمص) وبعثه عمر إلى أهل القادسية والكوفة، فلو كانت له دار اتخذت مدرسة للقرآن لما أهمل ذكرها .. فهذه المناسبات جميعها جديرة بذكر هذه الدار لو كانت لها هذه الوظيفة.

هذه لمحات من التربية الإسلامية التى كانت لشبه الجزيرة العربية شرف شهود ميلادها وبزوغها شمسها، تربية الموحى بجوهرها خالق هذا الكون ، والمفصل لها نبى هذه الأمة وخاتم المرسلين .. نموذجاً سرعان ما انتشر عبر أنحاء العالم الإسلامى ينتقل مع جنود الإسلام ودعاته يسهم فى إعادة صياغة وتشكيل الإنسان الجديد المنشود.

openkan.com

الهـــوامش

١ - محمد عبدالله دراز : نظرات فى الإسلام، تحقيق محمد موفق أبو اليسر البيانونى، حلب ، مكتبة الهدى، ١٩٧٢، المقدمة.

٢- ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، د. ت، جـ٤ . ص ٣٤ .

٣- الجاحظ : البيان والتبين ، جـ١ ص ١٦٤ .

٤- حسين مؤنس : عالم الإسلام ، القاهرة، دار المعارف، ص ١٧ .

٥- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، القاهرة، النهضة المصرية. جـ١، ص ١٠

٦- وقد ذكر ياقوت تسعة وعشرين اسماً، منها المدينة، وطيبة (لطيب هوائها)، ويثرب ، والناجية، والمباركة، والمحببة .. الخ .

٧- فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول)، جـ١ ، ١٦٦ .

٨- أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٥ ، ص ٣٨٧ .

٩- المرجع السابق، ص ٤٠٠ .

١٠- سيرة النبى ، جـ ٤ ص ٢٢١ .

١١- محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، القاهرة، دار الفكر العربى ، ١٩٧٢، ص ١٨٢

١٢- شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ٤٠ .

١٣- حسين مؤنس : عالم الإسلام ، ص ٣٨ .

١٤- الجمعة / ٥.

١٥- ابن هشام : سيرة النبى ، جـ١ ، ص ١١٦ .

١٦- أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون. القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٦٦ .

١٧- عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية . القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٥ ، ص ١٢٧ .

١٨- عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه القاهرة المؤتمر الإسلامى، ١٩٥٧ ، ص ٣٢ .

١٩- أحمد أمين فجر الإسلام، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٦٥، ص ٧٥

٢٠- السيد سابق : العقائد الإسلامية ، بيروت، دار الكتاب العربى، د. ت.ص ٩ .

٢١- محمد أبو زهرة : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام، فى (التوجيه الاجتماعى فى الإسلام)، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧٢ ، ج ، ص ٥٧ .

٢٢- الرعد / ٢٨ ٢٣- أبو زهرة ص ٦٢ .

٢٤- محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق، د.ت، ص ٢٧٠ .

٢٥- أحمد كمال أبو المجد : الإسلام وتعمير الكون، منار الإسلام، أبو ظبى، العدد التاسع، رجب ١٣٦٩ هـ ص ٧ - ٨ .

٢٦- الفرقان / ٦٧ . ٢٧- الأعراف ٣٢ .

٢٨- هود/ ٦

٢٩ رواه الإمام أحمد.

٣٠- محمد المبارك : نظام الإسلام ، الاقتصاد، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢ ص ٧٥ .

٣١- المرجع السابق ، ص ٧٦ :

٣٢- إبراهيم اللبان : حق الفقراء فى أموال الأغنياء، فى (التوجيه الاجتماعى فى الإسلام، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، جـ١ ، ص ٨٠ .

٣٣- يوسف عبد الهادى الشال : الإسلام وبناء المجتمع الفاضل. سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة ، العدد (٦٠)، ديسمبر ١٩٧٢ ، مجمع البحوث الإسلامية ، ص ٧ ٨ .

٣٤- شلتوت، ص ٢٩٩ .

٣٥ – الزلزلة / ٧ – ٨ .

٣٦- عبد المنعم النمر : نعم طبقات.. ولكن دون استغلال . مجلة الوعى الإسلامى ، الكويت ، العدد، (١٦٠)، ربيع الثانى ١٩٣٨ ، ص ٣٤ .

٣٧- أحمد محمد العسال: الإسلام وبناء المجتمع، الكويت، دار القلم ، ١٩٧٥، ص١٢٤

٣٨- عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، القاهرة ، دار القلم ، د.ت ص ٨٥

٣٩ - سبأ/ ٩ .

٤٠- الذاريات / ٢٠ – ٢١

٤١- فصلت / ٥٣ .

٤٢- الغاشية / ١٧ – ٢٠ .

٤٣- البقرة / ١٦٤ .

obeikan.com

٤٤- محمد سلام مدكور : بحث عن التعليم فى الإسلام ، ماضيه وحاضره قدم للمؤتمر العالمى الأول للتعليم الإسلامى ، مكة المكرمة ٣/٣١ - ٤٨ / ١٩٧٧ .

٤٥- محمد عبده : دروس من القرآن الكريم، كتاب الهلال ، العدد . الصادر فى مارس ١٩٥٩، دار الهلال ، القاهرة ، ص ١٢٠ .

٤٦- المرجع السابق ، ص . ١٢١ .

٤٧- عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الإسلام، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى، سرس الليان (مصر)، ١٩٧٧ . ص ١٦ .

٤٨- البقرة / ١٥١ .

٤٩- البقرة / ٢٦٩

٥٠- العلق / ١-٥ .

٥١- المجادلة / ١١ .

٥٢ - آل عمران / ٨.

٥٣- فاطر / ٢٨.

٥٤- زكى الدين المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣ ، جـ١ ص ٧٢ .

٥٦- البقرة / ١٥٩

٥٧- تفسير المنار، جـ ٢ ، ص ٥١ ,

٥٨- التوبة / ١٢٢ .

٥٩- رواه ابن ماجة فى سننه، الجزء الأول ، ص ٢٩٠ ، حديث رقم ٢٤٧ .

٦٠- رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن.

٦١- البقرة / ٣٠ .

٦٢- أحمد إبراهيم مهنا : الإنسان فى القرآن الكريم القاهرة ، مجمع

البحوث الإسلامية، ١٩٧١ ، ص ٤٧ .

٦٣- البقرة / ٣١ .

٦٤- مهنا ، ص ٤٨.

٦٥- إبراهيم / ٣٢ / ٣٣ . ٦٦ - النحل / ٥ - ٨ .

٦٧- محمد البهنسى . من توجيه القرآن الكريم، القاهرة، سلسلة البحوث الإسلامية ، أغسطس، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .

٦٨ - الإسراء / ١٣ - ١٥ .

٦٩- رواه مسلم .

٧٠- عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مكة المكرمة ط١، ص ١٣٨ .

٧١- الأعراف / ٣٢. ٧٢- البقرة ٢٢٣.

٧٣- من توجيه القرآن / ص ٩ .

٧٤ الحجرات / ٥٥ .

٧٥ عائشة عبد الرحمن: الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

٧٦ محمد أحمد خلف الله : القرآن والثورة الثقافية. الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤ : ص ٨٨ .

٧٧ المرجع السابق. ص ٨٩ .

٧٨ القلم / ٤ .

٧٩ الميدانى ، ص ٦٤ - ٦٥ /

٨٠- عبد الحميد حسن : التربية الخلقية والاجتماعية فى السنة النبوية ، فى (التوجيه الإسلامى للشباب)، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة، ١٩٧١ ، ص ١٥٤ .

٨١- النور / ٣٧ . ٨٢- آل عمران / ١٣٤ .

٨٣- عبد الغنى أحمد الناجى : تربية الإرادة فى منهج الإسلام، مجلة المنار الإسلام، أبو ظبى ، العدد الأول ، السنة الثانية ، محرم ١٣٩٧ هـ ص ١١١

٨٤- محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية، الأصول الفلسفية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ٢١١ .

٨٥- جون ديوى : الديمقراطية والتربية ، ترجمة متى عقراوى وزميله ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٩ .

٨٦- عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، بيروت، دار الكتاب العربى ١٩٦٩، ص ١٦

٨٧- محمد شديد : منهج القرآن فى التربية ، بيروت ، دار الأرقم . د.ت، ص ١٦٩ .

٨٨- عبد الرازق نوفل : وسائل التعليم فى القرآن الكريم. مجلة منار الإسلام ، أبو ظبى ، العدد ١١ ذى القعدة ١٣٩٦ هـ ، ص ٧.

٨٩- الحشر / ١٢ ٩٠- البقرة / ٢٦٠

٩١- الميدانى ، ص ٣٦١ . .

٩٢- العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ص ٢٦ .

٩٣- الشعراء / ٦٩- ٧٤ .

٩٤ - عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، ص ١٣٩ .

obeikan.com

٩٥ – يس / ٤٠ ٩٦– البقرة ٢٨١ .

٩٧– حسين مؤنس : عالم الإسلام ، ص ١٦٦ .

٩٨– أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٦٦ .

٩٩– المرجع السابق . ص ١٦٧ .

١٠٠– الخطيب البغدادى : تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، دار إحيا السنة النبوية، ١٩٧٥ ، ص ٢٩ – ٤٩ .

١٠١– المرجع السابق . ص ٥٧ .

١٠٢ – المرجع السابق. ص ٦٤ – ١١٤ .

١٠٣ – أمين مدنى : التاريخ العربى ومصادره ، القاهرة، دار المعارف جـ ، ص ٢١١ .

١٠٤– محمد أسعد طلس : تاريخ الأمة العربية، عصر الانبثاق، بيروت ، مكتبة الأندلس، ١٩٥٢ ، ص ١٦٥ .

١٠٥ – المرجع السابق

١٠٦ – محمد عزه دروزه : سيرة الرسول، جـ١، ص٤٥–٤٦ .

١٠٧ – عباس محمود العقاد : عبقرية عمر، في (إسلاميات) ص٢١٩ .

١٠٨ – أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٤٨ .

١٠٩ – عباس محمود العقاد : عبقرية الإمام على في (إسلاميات ٩ ، ص١٢٨ .

١١٠ – طبقات ابن سعد، جـ٤ ، ص٦١

١١١ – صحيح البخارى ، جـ٢، ص٢٢٦(طبعة الشعب بالقاهرة) .

obeikan.com

١١٢ - التوبة / ١٢٨ .

١١٣ - جرجى زيدان : تاريخ التمون الإسلامي ، القاهرة، دار الهلال، ١٩٥٨، جـ٣، ص٧٠ .

١١٤ - فجر الإسلام، ص٢٠٨ .

١١٥ - مسند الإمام أحمد ، جـ٦، ص٢٩٦ الحديث رقم ٤١٥٧ .

١١٦ - آبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، القاهرة ، مكتبة وهبه ١٩٦٤، ص١٩ .

١١٧ - صحيح مسلم .

١١٨ - آبو زيد شلبي، ص٢١٨ .

١١٩ - جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ١، ص٢١٨ .

١٢٠ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، جـ١، ص٥٠٦ .

١٢١ - الشعراء / ٢٢٥-٢٢٦ .

١٢٢ - فجر الإسلام ، ص١٥٨ .

١٢٣ - أمين مدنى : التاريخ العربي ومصادره ، ص١٩٠ .

١٢٤ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ١ ، ص٥١٣ .

١٢٥ - علي محيى الدين القرة : مفهوم المسجد في الإسلام ، وماذا يتطلب منا في الوقت الحاضر . نوعز رساله المسجد . مكة المكرمة ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٧ .

١٢٦ - محمد حسين الذهبى : رسالة المسجد العالم عبر التاريخ ، مؤتمر رسالة المسجد ، ص٤٥٨ .

١٢٧ التوبة / ١٨ .

١٢٨ - الجن / ١٨ .

١٢٩ الأعراف / ٢٩ . ١٣٠ - الأعراف / ٣١ .

١٣١ - الذهب ، مرجع سابق ، ص ٤٥٨ .

١٣٢ - عن عبد الرحمن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، بيروت، دار الكفر، ١٩٧٣ ، ص ٤٠ .

١٣٣ - الزركشى (محمد بن عبد الله) السلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٤هـ ، ص٥٧.

١٣٤ - أحمد السباعى : تاريخ مكة المكرمة، مطابع دار قريش، ١٣٨٠هـ، جـ١ ، ص٥٨ .

١٣٥ التوبة / ١٠٨ .

١٣٧ - محمد محمد أبو شهبة رسالة المسجد في صدر الإسلام ، مؤتمر رسالة المسجد ، ص٢٢٠ .

١٣٨ - محمد عبد الرحيم فودة ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، في بيوت الله ، مساجد ومعاصر، كتاب الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص١٢٧ .

١٣٩- المرجع السابق. ص ١٢٨ .

١٤٠- أبو شهبة ، ص ٢٢٠ .

١٤١ يعنى هذا اللبن (الطوب النيىء) على ما ينال العامل فى حمله من المشقه والاغبرار، أبقى ذخرا، وأكثر ثواباً ، وأشد طهرا ، من جمال خبير، وهى ما يحمل من التمر والزبيب ونحوها من التجارة . وأنها الروحانية سامية لا تكون إلا من هذه النفوس التى أحسن الإسلام تكوينها وتربيتها.

obeikan.com

١٤٢- رواه البخارى ومسلم.

١٤٣- رواه مسلم عن أى هريرة.

١٤٤- رواه مسلم عن عقبة بن عامر.

١٤٥- عبدالله عبد الخالق المشد : وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر فى (التوجيه الاجتماعى للاسلام)، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٢ ، جـ ٣ ص ١٥٦ .

١٤٦- أضيفت الاسطوانة إلي التوبة مشيرة لتوبة أبى لبابة.

١٤٧- أبو بكر القادرى، رسالة المسجد عبر التاريخ، فى (مؤتمر رسالة المسجد)، ص ٢٤٢ .

١٤٨- القرة، ص ١١٢ .

١٤٩- المشد ، ص ١٥٧ .

١٥٠- أبو شهبة ، ص ٢٢٣ .

١٥١- محمد رشاد الشافعى : بحث عن رسالة المسجد ، فى (مؤتمر رسالة المسجد) ، ص ٥٣٨ .

١٥٢- القرة،ص ١٣

١٥٣- أبو شهبة .ص ٢٢٦ .

١٥٤- المشد، ص ١٦٣ .

١٥٥- فجر الإسلام، ص ١٧٥ .

١٥٦- جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٧١ ، جـ ٨ ، ص ٢٩١ .

١٥٧- المرجع السابق، ص ٢٩٢

obeikan.com

١٥٨-أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٦٦، ص ٤٩

١٥٩- المرجع السابق . ص ٤٨ .

١٦٠- المرجع السابق. ص ٦٨

١٦١- الأحزاب / ٥٣

١٦٢- فجر الإسلام ، ص ١٦٥ .

١٦٣- التاريخ العربى ومصادره، جـ٢ ص ١٧٩ وما بعدها.

١٦٤- المرجع السابق، ص ١٨٠ .

* * *

oberikan.com